www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب)

المنار

١٣١٥

(يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ، وما يذكر الا أولو الالباب)

(قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

٢٩ ذي القعدة سنة ١٣٤٣ـ٢٩ برج الجوزاء سنة ١٣٠٤ هش ٢١ يونيه سنة ١٩٢٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فتاوى المنار

﴿سبب اتباع المسلم للاسلام ونفوره من دعوة النصرانية﴾

(ص١٩ و٢٠) من القس الدانيمركي الفردنيلسن في دمشق

ماهو الذي يجعلك تتبع دين الاسلام كدين الحق ، واذا تعرفت بالتبشير المسيحي وبالكتب المسيحية فما هو الذي يبعدك وينفرك عن دعوتها ؟

(ج) ثبت عندي أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم كان رجلا أميا لم يتعلم القراءة ولا الكتابة ، ولا عاشر أحداً من علماء الاديان ولا التاريخ والقوانين والفلسفة والآداب ،ولا غير ذلك ، وانه لم يكن شاعرا ولا خطيبا ، ولا محبا لما كان معهودا بين كبراء قومه وأذكيائهم من الرياسة والمفاخرة والشهرة بالفصاحة والبلاغة ، وانما كان ممتازاً بين أقرانه في قومه بسلامة الفطرة وحب العزلة والصدق والامانة والعفة والمروءة وغير ذلك من مكارم الاخلاق ، حتى لقبوه بالامين . فمضى على ذلك سن الصبا والشباب الذي تظهر فيه جميع رغبات البشر ومزاياهم . ثم إنه بعد إكمال الاربعين والدخول في سن الكهولة ادعى النبوة وان الله بعثه رسولا الى الناس كافة كما أرسل من قبله من الرسل الى أقوامهم بمثل ما أرسله به من الدعوة الى الى توحيده تعالى وعبادته ، والايمان بملائكته وكتبه ورسله والدار الآخرة ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإقامة الحق والعدل بالمساواة بين الناس وغير ذلك من أصول العقائد المعقولة ، والآداب العالية ، والاحكام والشرائع العادلة ، التي اكمل الله تعالى بها الدين ، وجعله بها خاتم النبيين ، بما يعد إصلاحا يفوق جميع ماكان عليه البشر من اتباع الانبياء وغيرهم . وجاء بكتاب في ذلك قال : إن الله تعالى أنزله عليه وانه وحي من لدنه سبحانه يعجز جميع البشر عن الاتيان بمثله في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من أخبار الغيب الماضية والمستقبلة ما ثبت ثبوتا قطعيا ، ومنه ان الله تعالى سينصره ويخذل أعداءه ويستخلف قومه وأمته في الارض ويمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وقد وقع جميع ما أخبر به ، وما رضح به صلى الله عليه وسلم أخباره كفتح بلاد كسرى وقيصر . ومنها مصر التي وصى بأهلها خيراً ، وأيده الله تعالى بآيات أخرى

ومن أهم ما أخبر به القرآن مما لم يكن يعلمه أحد من قوم الرسول (ص) ولا في بلاده ان اليهود والنصارى (أوتوا نصيبا من الكتاب) وانهم نسوا حظا مما ذكروا به ، وانهم حرفوا وغيروا وبدلوا ، ودخل عليهم الشرك . ومن العجيب ان المسلمين لم يعلموا مصداق ذلك بالتفصيل الا بعد اطلاعهم على مجموعة كتب الفريقين وتاريخها . ثم ما كتبه أحرار علماء أوربة من الطعن فيها ، فمن أين عرف ذلك رجل أمي نشأ بين قوم أميين لولا وحي الله تعالى له بذلك ؟

فهذه نبذة مجملة في بيان سبب استمساكي بعروة الاسلام واعتقادي أنه الدين الحق بالاختصار الذي اقترحه النفس السائل

وأما سبب نفوري من دعوة المبشرين دعاة النصرانية فهي اعتقادي بطلان دعوتهم في نفسها فان أساسها ان آدم عصى ربه فاستحق هو وذريته العذاب الابدي بعدل الله ، وان عذابهم بناني رحمة الله فلم يجد سبحانه وسيلة للجمع بين رحمته وعدله الا أن يحل في ناسوت أحد بني آدم ويتحمل العذاب والالم واللعنة لتخليصهم من العذاب فحل في ناسوت المسيح لاحل ذلك !! ومع هذا لم يتم له ما أراد فانه اشترط لخلاصهم أن يؤمنوا بذلك ولكن أكثرهم لم يؤمنوا به ورأيت جل تأثير هذه الدعوة في الذين يجهلون حقيقة الاسلام تشكيكهم في أصل الدين ، وجعلهم من الاباحيين ، وايقاع الشقاق بينهم وبين غيرهم . ومن أهم تلك الاسباب التي جعلتني أحتقر أكثرهم ما ثبت عندي من كونهم يتجرون بالدين اتجارا فيكذبون ويحرفون ، ومنهم الملحدون الذين لا ايمان لهم ، والمقلدين المتعصبون الذين يبغضون المسلمين بما تربوا عليه مما لا يجهله النفس السائل ، ولا أنكر مع هذا انه يوجد فيهم المتدين المخلص في دينه ، ولكن هذا بحسب اختباري قليل ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاسلام واصول الحكم

(بحث في الخلافة والحكومة في الاسلام)

بل دعوة جديدة الى نسف بنائها ، وتضليل ابنائها

(تمهيد) مازال أعداء الاسلام الطامعون في ثل عرشه والقضاء على ملكه وابطال تشريعه ، واستعباد الشعوب التي تدين الله به ، يجاهدونه بالسيف والنار ، وبالكيد والدهاء ، وبالآراء والافكار ، وبافساد العقائد والاخلاق ، وبالطعن في جميع مقومات هذه الامة ومشخصاتها ، وتقطيع جميع الروابط التي ترتبط بها شعوبها وأفرادها ، ليسهل جعلها طعمة للطامعين ، وفريسة لوحوش المستعمرين ، وقد كانت هذه الحرب السياسية العلمية للاسلام والمسلمين أشر وأنكى من الحروب الصليبية باسم الدين . فالحرب الصليبية كانت تجمع كلمة المسلمين للدفاع عن حقيقتهم والمدافعة عن سلطانهم ، وهذه الحرب المعنوية فرقت كلمتهم وشقت عصاهم ، ومزقت شمل شعوبهم ، وأذاقت بعضهم بأس بعض ، فصاروا عونا لاعدائهم على انفسهم يخربون بيوتهم أيديهم وأيدي خصومهم (فاعتبروا يا أولي الابصار)

قد كان آخر فوز لهذه الحرب على المسلمين محو اسم السلطنة العثمانية الاسلامية من لوح الوجود ، وإلغاء الترك لمنصب الخلافة من دولتهم الصغيرة ، التي أمكنهم استنباؤها من تلك السلطنة العظيمة — وتأليفهم حكومة جمهورية غير مقيدة بالشرع الاسلامي في أصول احكامه ولا فروعها — وتصريحهم بالفصل التام بين الدولة والدين — فذعر العالم الاسلامي وزلزل بعملهم هذا زلزالا شديدا ، وطرب له الافرنج وروجو سياستهم من نصارى الشرق وملاحدة المتفرنجين المارقين من الاسلام ، ورفع هؤلاء عقائرهم في مصر ، هاتفين لعمل الترك ، وكذلك فعل أمثالهم في سائر البلاد ، إلا ان هؤلاء نشطوا لجعل الحكومة المصرية حكومة لادينية كحكومة انقرة فهزىء العالم الاسلامي بدعوتهم وسخر منهم وراجت في مقابلتها الدعوة الي عقد مؤتمر اسلامي عام ، لاحياء منصب الخلافة بقدر ماتستطيعه قوى الاسلام في هذا الزمان .

بينا نحن معشر المسلمين على هذا اذا نحن بنبأة جديدة في شكلها ، تؤيد تلك النزعة الافرنجية النصرانية في موضوعها ، وتلك الفعلة الالحادية في مشروعها .

بينا نحن كذلك اذا نحن ببدعة حديثة لم يقل بمثلها أحد انتمى الى الاسلام

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صادقا ولا كاذبا ، بدعة شيطانية لم تخطر في بال سني ولا شيعي ولا خارجي ولا جهمي ولا معتزلي ، بل لم تخطر على بال أولئك الزنادقة الذين زعموا أن للاسلام باطنا غير ظاهره ، فظاهره للعوام الجاهلين ، وباطنه للخواص العارفين ، وأرادوا بهدم سلطان الاسلام بالاسلام لاعادة سلطان المجوسية الكسروية التي قضى عليها المسلمون القضاء الابدي ، وانما سبق الناعق بها اليوم ناعق آخر من متفرنجة هذه البلاد ومن رجال القانون والقضاء الاهلي قبل إنه انضوى الى دين البابية البهائية آخر فرق الباطنية ـ نعق بها هذا الرجل في مجمع عقده لها في الاسكندرية منذ بضع سنين بخطاب (محاضرة) ألقاه على كثير من رجال القانون ثم طبعه ووزعه بالمجان فرددنا عليه رداً أعجزه فلم يستطع أن يدافع عن نفسه ولا دافع عنه أحد من أعداء الاسلام بلا من البهائية ولا من رجال قوانينهم الوضعية الذين يريدون ان ينسخوا بها الشريعة الاسلامية

وأما الناعق بهذه البدعة اليوم فمن العلماء المتخرجين في الازهر ومن قضاة المحاكم الشرعية (ان هذا لشيء عجاب) ومن بيت كريم في هذه البلاد عرف أهله بالآداب العالية والاخلاق وبالدين أيضا . خلاصة هذه البدعة :

انه ليس للاسلام خلافة ولا امامة ولا حكومة ولا تشريع سياسي ولا قضائي وانه دين روحاني محض كدين النصارى بالمعنى الذي فهمته شيعة البروتستانت منهم دون من قبلهم . وأن ما ادعاه المسلمون من عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه الى يومنا هذا من أمر الامامة والخلافة باطل من القول وضلال من العمل ، وفساد في الارض ، لما جعلوه للخليفة من السلطان الديني الالهي ، وانما أضل جماعة المسلمين في ذلك الملوك لتوطيد سلطانهم فيهم ، وأن أبا بكر كان ملكا للعرب أراد أن يحقق وحدتهم . ويجعل السلطان لقريش وحدهم فيهم ، وليس له ولا لمؤيديه حجة من الدين ، ولم يكن جميع الخارجين عليه والمانعين اداء الزكاة له مرتدين عن الاسلام ، وأن قتالهم لم يكن دينيا بل سياسيا للدفاع عن دولة العرب ووحدتهم ، والدين نفسه لم يوجب ان تكون للعرب ولا لغيرهم من المسلمين دولة ولا وحدة . بل لكل فريق من المسلمين عربهم وعجمهم أن يقيموا لانفسهم حكومة يرضونها ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ودين الاسلام لم يقيده في ذلك بقيد ما بل هو برىء من كل ما عزوه اليه من ذلك

هذه خلاصة البدعة الجديدة التي قام ببثها اليوم في العالم الاسلامي الشيخ علي عبد الرازق « من علماء الجامع الازهر وقضاة المحاكم الشرعية » المصرية بكتاب ألفه فيها تجاوزت صفحاته المائة ، وهو يوزعه في الاقطار الاسلامية — على ما بلغنا — بغير ثمن ، وما كان لدعاة الاديان والمذاهب والاحزاب السياسية والاجتماعية أن يستغلوا دعايتهم ويتجروا بالمال فيها فحسب الديني منهم ثواب الله في الآخرة ، والدنيوي عظمة الدنيا وجاهها والانتظام في سلك مؤسسي الانقلابات الكبرى فيها

ولا ينبغي لنا أن نكتفي في بيان ملخص هذه البدعة بما فهمناه من الكتاب من غير نقل عبارته في النتيجة المرادة منه ، وان كان هذا الملخص مقدمة وتمهيدا لرد طويل مفصل نبطل به نصوصه المختلة ، ومقاصده المختلة ، قال في الصفحة الاخيرة منه (ص ١٠٣) مانصه :

« والحق أن الدين الاسلامي بريء من تلك الخلافة التي تعارفها المسلمون وبرىء من كل ما هيأوا حولها من رغبة ورهبة ، ومن عزة وقوة ، والخلافة ليست في شيء من الخطط الدينية . كلا ولا القضاء ولا غيرها من وظائف الحكم ومراكز الدولة ، وانما تلك كلها خطط سياسية صرفة ، لا شأن للدين بها ، فهو لم يعرفها ولم ينكرها ولا أمر بها ، ولا نهى عنها ، وانما تركها لنا لنرجع فيها الى أحكام العقل وتجارب الامم وقواعد السياسة »

ثم قال ايضاحا لهذا :

« لا شيء في الدين يمنع المسلمين أن يسابقوا الامم الاخرى في علوم الاجتماع والسياسة كلها . وأن يهدموا ذلك النظام العتيق الذي ذلوا له واستكانوا اليه (١) وأن يبنوا قواعد ملكهم ونظام حكومتهم على أحدث ما أنتجت العقول البشرية وأمتن ما دلت تجارب الامم على أنه خير أصول الحكم »

(١) الاستكانة الذل والخضوع تتعدى باللام لا بالى قال تعالى (فما استكانوا لربهم)

أقول : القضية الاولى من هذا الايضاح حق أريد به باطل وهو ما بعده ، فنظام الخلافة الاسلامية أفضل نظام عرفه البشر وكان المسلمون أعز الامم عند ما أقاموه وما ذلوا واستكانوا لغير ربهم الا عند ما تركوه ، وما كان لامة عاقلة مستقلة أن تبني قواعد ملكها ونظام حكومتها على أحدث تجارب غيرها من الامم فتكون

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كقدح الراكب لاتستقر على حال من القلق والاضطراب ، ومن ذا الذي يحكم لها بالخيرية بين الجمهورية والملكية ، وبين الاشتراكية والبلشفية والرأسمالية مثلا ؟

واذ كان يقول هذا حكم الاسلام في المسألة عنده فماذا يقول فيما في القرآن والسنة من الاحكام السياسية كالمعاهدات والمعاهدين وأحكام الحرب والاحكام القضائية الشخصية كالمواريث والزواج والطلاق والعدد والاحكام المدنية كتحريم الربا وأكل أموال الناس بالباطل ، وأحكام العقوبات من حدود وتعزيرات — هل ينكرها من أصلها كما أنكر أحاديث الخلافة والاجماع على نصب الخليفة ؟ أم يقول ان طاعة الله ورسوله لاتجب فيها ، وإنها مستثناة من حكم قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) ويستدل على ذلك ببعض الشعر الذي يحفظه من الاغاني والعقد الفريد ودواوين الشعراء كما فعل فيما سنذكره من دلائله في بحث الخلافة ؟

أم يقول فيها كما قال سلفه والسابق له الى اقتراح هدم حكومة الاسلام من أساسها ونسف أصولها الاربعة الكتاب والسنة والاجماع والقياس احمد صفوت افندي الذي أشرنا الى بدعته آنفا تلك البدعة التي كانت سببا فيما نرى لندب الانكليز اياه لاصلاح القضاء في فلسطين !! وملخصها : ان النبي (صلى الله عليه وسلم) كان حاكما للمسلمين وكانت طاعته واجبة كما تجب طاعة كل حاكم في زمن حكمه ، وأن أحكامه لايجب أن تتبع من بعده ، وأن لكل حاكم في كل زمن مثلما كان له من ذلك وله بمقتضاه أن يلغي كل حكم كان قبله ، لافرق بين الرسول وغيره . وكذلك إجماع المتقدمين وأقيستهم لايجب أن يؤخذ بها من بعدهم ، فاجماعنا في هذا العصر خير لنا من إجماعهم ، وأقيستنا خير لنا من أقيستهم

وأما أحكام القرآن فقد صرح بأنها هي التي فرضها الله على المسلمين في كل زمان دون غيرها ثم جعل ماعدا المبادىء العامة منها (أي كالامر بالعدل) ثلاثة أقسام : ماحرمه الله وما أوجبه وما جوزه — فحكم الاول عنده — وقد مثل له بتحريم الامهات والبنات — أن لايتعرض له ولا يحكم بشيء يخالفه في مرماه !! وحكم الثاني عنده — وقد مثل له بالعدة والاشهاد على عقد الزواج — أن يبقى منه ماتتحقق به الحكمة المقصودة منه فيستغنى بها عن التزام الحكم نفسه —

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حكومة أن تحرم بالقوانين الوضعية ماتشاء منه — ثم قال مانصه : « وبذلك ينقض وجوب التقيد بالمعاني الحرفية للالفاظ القانونية الواردة في القرآن »

فخلاصة رأيه أن كل ما ثبت بالسنة أو الاجماع أو القياس من الاحكام الشرعية لايجب على أحد من المسلمين العمل به ، وأن أحكام القرآن نفسها لايجب العمل بنصوصها ومدلول ألفاظها ، وانما يبحث المسلمون مادامو ا يدعون الاسلام عن مرمى المحرمات منها فيراعوه ، وعن حكمة الواجبات فيراعوها ؛ وأما الجائزات فلهم أن يحرموا منها ماأحله الله أو يوجبوه بحسب مايتراءى لحكوماتهم في كل زمان

ولكن ظاهر عبارة عالم الازهر وقاضي الشرع الذي جاء خلفا لهذا السلف القانوني في هدم التشريع الاسلامي أن أحكام القرآن كغيرها لاتوجب على المسلمين التقيد في حكومتهم بها ولا تمنعهم أن يأخذوا بأحدث تجارب الامم فيها حتى اذا فرضنا ان أحدثها وهي البلشفية نجحت فلا حرج عليهم في الاخذ بها

أول مايقال في وصف هذا الكتاب لا في الرد عليه إنه هدم لحكم الاسلام وشرعه من أساسه ، وتفريق لجماعته ، وإباحة مطلقة لعصيان الله ورسوله في جميع الاحكام الشرعية الدنيوية ، من شخصية وسياسية ومدنية وجنائية — وتجهيل للمسلمين كافة من الصحابة والتابعين ، والائمة المجتهدين والمحدثين والمتكلمين ، وبالجملة هو اتباع لغير سبيل المؤمنين . فالاسلام بريء منه بحسب مافهمه المسلمون من العصر الاول الى عصرنا هذا . واننا سنرد على جميع أبوابه وفصوله ردا مفصلا جريا على خطتنا في الدفاع عن ديننا وملتنا ، ولكننا لانقول في شخص صاحبه شيئا فحسابه على الله تعالى وانما نقول إنه لايجوز لمشيخة الازهر أن تسكت عنه كما سكتت عن احمد صفوت وأمثاله ، فان هذا المؤلف الجديد رجل منهم فيجب عليهم أن يعلنوا حكم الاسلام في كتابه لئلا يقول هو وأنصاره إن سكوتهم عنه إجازة له أو عجز عن الرد عليه ، فان كان ردنا عليه ودحضنا لشبهاته يرفع عنهم اثم الانكار عليه وتحذير الناس من ضلالته — لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات — فان للائمة التي توجه اليهم بالسكوت عن مثل هذا لا ترتفع بردنا وحدنا ، بل يحط من أقدارهم في نظر الامة كلها ، وحاشاهم الله من ذلك .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مناظرة ابن تيمية العلنية

لرجاجلة البطائحية الرفاعية

(وهي من أعظم ما تصدى له وقام به شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية قدس الله روحه من إقامة فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحياء السنة، ومحاربة البدعة ، بعد ان اهمل ذلك الحكام فالعلماء ففشت البدع وصار كثير منها يعد من شعائر الدين ، أو خصائص الصالحين ، فكان رحمه الله من أعظم المجددين) قال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله الا الله رب السموات والارضين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين ، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم تسليما دائما الى يوم الدين

(أما بعد) فقد كتبت ماحضرني ذكره في المشهد الكبير بقصر الامارة والميدان بحضرة الخلق من الامراء والكتاب والعلماء والفقراء العامة وغيرهم في أمر البطائحية يوم السبت تاسع جمادى الاولى سنة خمس لتشوف الهمم الى معرفة ذلك وحرص الناس على الاطلاع عليه ، فان من كان غائبا عن ذلك قد يسمع بعض أطراف الواقعة ومن شهدها فقد رأى وسمع مارأى وسمع ، ومن الحاضرين من سمع ورأى مالم يسمع غيره ويره لانتشار هذه الواقعة العظيمة ، ولما حصل بها من عز الدين وظهور كلمته العليا وقهر الناس على متابعة الكتاب والسنة، وظهور زيف من خرج عن ذلك من أهل البدع المضلة، والاحوال الفاسدة والتلبيس على المسلمين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد كتبت في غير هذا الموضع صفة حال هؤلاء البطائحية وطريقهم وطريق الشيخ أحمد بن الرفاعي وحاله وما وافقوا منه المسلمين وما خالفوهم ليتبين مادخلوا فيه من دين الاسلام وما خرجوا فيه عن دين الاسلام، فان ذلك يطول وصفه في هذا الموضع، وانما كتبت هنا ماحضرني ذكره من حكاية هذه الواقعة المشهورة في مناظرتهم ومقابلتهم ، وذلك اني كنت أعلم من حالهم بما قد ذكرته في غير هذا الموضع وهو انهم وان كانوا منتسبين الى الاسلام وطريقة الفقر والسلوك، ويوجد في بعضهم التعبد والتأله والوجد والمحبة والزهد والفقر والتواضع ولين الجانب والملاطفة في المخاطبة والمعاشرة والكشف والتصرف ونحو ذلك مايوجد فيوجد أيضا في بعضهم من الشرك وغيره من أنواع الكفر ، ومن الغلو والبدع في الاسلام والاعراض عن كثير مما جاء به الرسول والاستخفاف بشريعة الاسلام والكذب والتلبيس ، واظهار المخارق(١) الباطلة وأكل أموال الناس بالباطل والصد عن سبيل الله مايوجد

وقد تقدمت لي معهم وقائع متعددة بينت فيها لمن خاطبته منهم ومن غيرهم بعض مافيهم من حق وباطل ، وأحوالهم التي يسمونها الاشارات، وتاب منهم جماعة ، وأدب منهم جماعة من شيوخهم، وبينت صورة مايظهرونه من المخاريق مثل ملابسة النار والحيات وإظهار الدم واللاذن والزعفران وماء الورد والعسل والسكر وغير ذلك ، وان عامة ذلك عن حيل معروفة وأسباب مصنوعة ، وأراد غير مرة منهم قوم اظهار ذلك فلما رأوا معا ضتي

(١) أطلقوا اسم المخارق والمخاريق على الخوارق المفتعلة بالحيل والتلبيس والشعوذة وهي في أصل اللغة ضرب من لعب الصبيان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لهم رجعوا ودخلوا على أن استرهم فأجبتهم الى ذلك بشرط التوبة، حتى قال لي شيخ منهم في مجلس عام فيه جماعة كثيرة بمض البساتين لما عاوضتهم بأني أدخل معكم النار بعد أن نغتسل بما يذهب الحيلة ومن احترق كان مغلوبا، فلما رأوا الصدق أمسكوا عن ذلك

وحكى ذلك الشيخ أنه كان مرة عند بعض امراء التتر بالمشرق وكان له صنم يعبده قال: فقال لي: هذا الصنم يأكل من هذا الطعام كل يوم ويبقى أثر الاكل في الطعام بينا يرى فيه، فأنكرت ذلك، فقال لي ان كان يأكل انت تموت؟ فقلت نعم، قال فأقمت عنده الى نصف النهار ولم يظهر في الطعام اثر، فاستعظم ذلك التتري ذلك واقسم بايمان مغلظة انه كل يوم يرى فيه اثر الاكل لكن اليوم بحضورك لم يظهر ذلك. فقلت لهذا الشيخ انا ابين لك سبب ذلك. ذلك التتري كافر مشرك ولصنمه شيطان يغويه بما يظهره من الاثر في الطعام وانت كان معك من نور الاسلام وتأييد الله تعالى ما أوجب انصراف الشيطان عن ان يفعل ذلك بحضورك (١) وانت وامثالك بالنسبة الى اهل الاسلام الخالص كالتتري بالنسبة الى امثالك، فالتتري وأمثاله سود، وأهل الاسلام المحض بيض، وأنتم بلق فيكم سواد وبياض. فأعجب هذا المثل من كان حاضراً

وقلت لهم في مجلس آخر لما قالوا تريد أن نظهر هذه الاشارات؟ قلت ان عملتموها بحضور من ليس من أهل الشأن من الاعراب والفلاحين أو الاتراك أو العامة أو جمهور المتفقهة والمتفقرة والمتصوفة لم يحسب لكم

(١) لعل ذلك الشيطان من شياطين الانس كان يأكل من الطعام في غفلة من ذلك الامير الخرافي ويوهمه ان الصنم أكله لمصلحة له في التلبيس عليه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذلك فمن معه ذهب فليأت به الى سوق الصرف الى عند الجهابذة الذين يعرفون الذهب الخالص من المغشوش من الصفر ، لا يذهب الى عند أهل الجهل بذلك . فقالوا لي لا نعمل هذا إلا أن تكون همتك معنا(١) فقلت همتي ليست معكم بل أنا معارض لكم مانع لكم لانكم تقصدون بذلك ابطال شريعة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فان كان لكم قدرة على اظهار ذلك فافعلوا. فانقلبوا صاغرين

فلما كان قبل هذه الواقعة بمدة كان يدخل منهم جماعة مع شيخ لهم من شيوخ البر مطوقين باغلال الحديد في أعناقهم(٢) وهو واتباعه معروفون بامور وكان يحضر عندي مرات فاخاطبه بالتي هي أحسن . فلما ذكر الناس مايظهرونه من الشعار المبتدع الذي يتميزون به عن المسلمين ، ويتخذونه عبادة ودينا يوهمون به الناس إن هذا لله سر من أسرارهم ، وإنه سيماء أهل الموهبة الالهية السالكين طريقهم ، أعني طريق ذلك الشيخ وأتباعه ـ خاطبته في ذلك بالمسجد الجامع وقلت هذا بدعة لم يشرعها الله تعالى ولا رسوله ولا فعل ذلك أحد من سلف هذه الامة ولا من المشايخ الذين يقتدي بهم(٣) ولا يجوز التعبد بذلك ولا التقرب به الى الله تعالى لان عبادة الله بما لم يشرعه ضلالة ، ولباس الحديد على غير وجه التعبد قد كرهه من كرهه من العلماء للحديث المروي في ذلك وهو أن النبي صلى الله تعالى

---

(١) أراد بهذا رشوة شيخ الاسلام بمشاركته في هذا الجاه الباطل على حد (ودوا لو تدهن فيدهنون)

«٢» رأيت مثل هؤلاء في الهند من متصوفة الشرك «٣» اي يقتدي بسيرتهم لموافقتها للكتاب والسنة كالجنيد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عليه وسلم رأى على رجل خاتما من حديد فقال « مالي أرى عليك حلية أهل النار » (١) وقد وصف الله تعالى أهل النار بأن في أعناقهم الاغلال، فالتشبه بأهل النار من المنكرات وقال بعض الناس قد ثبت في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث الرؤيا قال في آخره « أحب القيد واكره الغل القيد ثبات في الدين » فاذا كان مكروها في المنام فكيف في اليقظة (٢)

فقلت له في ذلك المجلس ماتقدم من الكلام أو نحواً منه مع زيادة وخوفته من عاقبة الاصرار على البدعة وان ذلك يوجب عقوبة فاعله ونحو ذلك من الكلام الذي نسيت أكثره لبعد عهدي به . وذلك أن الامور التي ليست مستحبة في الشرع لايجوز التعبد بها باتفاق المسلمين، ولا التقرب بها الى الله ولا اتخاذها طريقا الى الله وسببا لان يكون الرجل من أولياء الله وأحبائه ، ولا اعتقاد أن الله يحبها أو يحب أصحابها كذلك، أو أن اتخاذها يزداد به الرجل خيرا عند الله وقربة اليه ، ولا أن يجعل شعارا للتائبين المريدين وجه الله ، الذين هم أفضل ممن ليس مثلهم

فهذا أصل عظيم نجب معرفته والاعتناء به وهو ان المباحات انما تكون مباحة إذا جعلت مباحات فاما إذا اتخذت واجبات أو مستحبات كان ذلك دينا لم يشرعه الله، وجعل ماليس من الواجبات والمستحبات منها

« ١ » رواه النسائي وله تتمة

« ٢ » أصل الحديث في الصحيحين وهذا لفظ مسلم وبعده : فلا أدري هو هو في الحديث أم قاله ابن سيرين اه أي راويه عن أبي هريرة وفي رواية له اسناده الى أبي هريرة وليس في رواية البخاري له شيء من الشك المذكور

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بمنزلة جعل ماليس من المحرمات منها ، فلا حرام الا ماحرمه الله ، ولا دين إلا ماشرعه الله ، ولهذا عظم ذم الله في القرآن لمن شرع دينا لم يأذن الله به ، ولمن حرم مالم يأذن الله بتحريمه(١) فاذا كان هذا في المباحات فكيف بالمكروهات أو المحرمات ؟ ولهذا كانت هذه الامور لا تلزم بالنذر ، فلو نذر الرجل فعل مباح أو مكروه أو محرم لم يجب عليه فعله كما يجب عليه إذا نذر طاعة الله ان يطيعه ، بل عليه كفارة يمين اذا لم يفعل عند أحمد وغيره ، وعند آخرين لاشيء عليه ، فلا يصير بالنذر ماليس بطاعة ولا عبادة(٢)

ونحو ذلك العهود التي تتخذ على الناس لالتزام طريقة شيخ معين وعهود أهل الفتوة ورماة البندق ونحو ذلك ليس على الرجل ان يلتزم من ذلك على وجه الدين والطاعة لله الا ماكان دينا وطاعة لله ورسوله في شرع الله لكن قد يكون عليه كفارة عند الحنث في ذلك. ولهذا أمرت غير واحد أن يعدل عما أخذ عليه من العهد بالتزام طريقة مرجوحة أو مشتملة على أنواع من البدع الى ماهو خير منها من طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم واتباع الكتاب والسنة اذ كان المسلمون متفقين على انه لا يجوز لأحد أن يعتقد أو يقول عن عمل انه قربة وطاعة وبر وطريق الى الله واجب أو مستحب الا أن يكون مما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم وذلك يعلم بالادلة المنصوبة على ذلك ، وما علم باتفاق الامة انه ليس بواجب ولا

«١» بل جعله من الشرك أو الكفر المتعدي الذي هو أضر من الشرك كما بيناه في تفسير (وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ، وان تقولوا على الله مالا تعلمون) وغيره راجع ص ٣٩٨ - ٤٠٤ من جزء التفسير الثامن وكذا من ١٤٣ و١٤٧ و١٦٤ و١٨١ منه

«٢» لعله سقط من هنا : طاعة وعبادة منصوبين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مستحب ولا قربة لم يجز أن يعتقد أو يقال انه قربة وطاعة ، فكذلك هم متفقون على انه لا يجوز قصد التقرب به الى الله ، ولا التعبد به ولا اتخاذه دينا ولا عمله من الحسنات ، فلا يجوز جعله من الدين لا باعتقاد وقول ، ولا بارادة وعمل ، وباهمال هذا الاصل غلط خلق كثير من العلماء والعباد يرون الشيء اذا لم يكن محرما لا ينهى عنه بل يقال انه جائز(١) ولا يفرقون بين اتخاذه دينا وطاعة وبراً وبين استعماله كما تستعمل المباحات المحضة ، ومعلوم ان اتخاذه دينا بالاعتقاد أو الاقتصاد أو بهما وبالقول أو بالعمل أو بهما من أعظم المحرمات وأكبر السيئات ، وهذا من البدع المنكرات التي هي اعظم من المعاصي التي يعلم انها معاصي سيئات ،

﴿ فصل ﴾

فلما نهيتهم عن ذلك اظهروا الموافقة والطاعة ومضت على ذلك مدة والناس يذكرون عنهم الاصرار على الابتداع في الدين ، واظهار ما يخالف شرعة المسلمين ، ويطلبون الايقاع بهم ، وانا اسلك مسلك الرفق والاناة ، وأنتظر الرجوع والفيئة ، وأؤخر الخطاب الى ان يحضر (ذلك الشيخ) لمسجد الجامع . وكان قد كتب الي كتابا بعد كتاب فيه احتجاج واعتذار ، وعتب

(١) سقط جواب اذا من الناسخ ومعناه أنهم يرون جواز جعله قربة وعبادة . وهذا مثال كثير من البدع المحدثة . وذكر لي بعض علماء الازهر في هذه الايام ان بعض كبار علمائه كانوا يتكلمون فيما ينكره الوهابية من بدع القبور وغيرها ويستحسنون ذلك فقال بعضهم منكرا ولكنهم منعوا أن يستشفع بأصحابها الصالحين فقال له شيخ الازهر (الاستاذ أبو الفضل الجيزاوي) وهل هذا هو الشرع فقال المنكر ما دليله ؟ فقال الشيخ انما يطلب الدليل على الاذن به الا على المنع ، فدل هذا على أن الشيخ أيد الله به السنة أعلمهم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وآثار وهو كلام باطل لا تقوم به حجة، بل اما احاديث موضوعة، او اسرائيليات غير مشروعة، وحقيقة الامر الصد عن سبيل الله واكل اموال الناس بالباطل. فقلت لهم: الجواب يكون بالخطاب. فان جواب مثل هذا الكتاب لا يتم الا بذلك، وحضر عندنا منهم شخص فنزعنا الغل من عنقه، وهؤلاء هم من أهل الاهواء الذين يتعبدون في كثير من الامور بأهوائهم لا بما أمر الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) ولهذا غالب وجدهم هوى مطلق لا يدرون من يعبدون وفيهم شَبَه قوي من النصارى الذين قال الله تعالى فيهم (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) ولهذا كان السلف يسمون اهل البدع أهل الأهواء،

فحملهم هواهم على ان يجمعوا تجمع الاحزاب، ودخلوا الى المسجد الجامع مستعدين للحراب، بالاحوال التي يعدونها للغلاب. فلما قضيت صلاة الجمعة أرسلت الى شيخهم لنخاطبه بأمر الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ونتفق على اتباع سبيله، فخرجوا من المسجد الجامع في جموعهم الى قصر الامارة وكأنهم اتفقوا مع بعض الاكابر على مطلوبهم ثم رجعوا الى مسجد الشاغور على ماذكر لي وهم من الصياح والاضطراب، على أمر من أعجب العجاب، فأرسلت اليهم مرة ثانية لاقامة الحجة والمعذرة، وطلبا للبيان والتبصرة، ورجاء المنفعة والتذكرة. فعمدوا الى القصر مرة ثانية، وذكر لي انهم قدموا من الناحية الغربية مظهرين الضجيج والعجيج، والازباد والارعاد، واضطراب الرءوس والاعضاء، والتقلب في نهر بَرَدى،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

واظهار التوله الذي يخيلوا (١) به على الردى، وابراز مايدعونه من الحال والمحال، الذي يسلمه اليهم من أضلو من الجهال

فلما رأى لامير ذلك هاله ذلك المنظر، وسأل عنهم فقيل له هم مشتكون، فقال ليدخل بعضهم، فدخل شيخهم وأظهر من الشكوى عليّ ودعوى الاعتداء مني عليهم كلاما كثيراً لم يبلغني جميعه، لكن حدثني من كان حاضراً ان الامير قال لهم: فهذا الذي يقوله من عنده أو يقوله عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا بل يقوله عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، قال فأي شيء يقال له؟ قالوا نحن لنا أحوال وطريق يسلم الينا (٢) قال فذمهم كلامه فمن كان الحق معه نصرناه ، قالوا نريد أن تشد منا ، قال لا ولكن أشد من الحق سواء كان معكم أو معه ، قالوا ولابد من حضوره؟ قال نعم ، فكرروا ذلك فأمر باخراجهم، فأرسل اليّ بعض خواصه من أهل الصدق والدين ممن يعرف ضلالهم عرفني بصورة الحال وانه يريد كشف أمر هؤلاء

فلما علمت ذلك ألقي في قلبي ان ذلك لامر يريده الله من اظهار الدين ، وكشف حال أهل النفاق المبتدعين ، لانتشارهم في أقطار الارضين ، وما أحببت البغي عليهم والعدوان ، ولا ان أسلك معهم الا أبلغ مايمكن من الاحسان ، فأرسلت اليهم من عرفهم بصورة الحال ، واني اذا حضرت

« ١ » كذا ولعل أصله تحيلوا أي اتخذوا الحيل وسيلة للجاه فساقتهم الى الردى . ذلك بأن أفعالهم التي كرها ولباسهم وأغلالهم لها تأثير عظيم في قلوب العوام وأصحاب الاوهام

« ٢ » هذه كلمة باطلة قالها بعض الفقهاء المغرورين بالدجل فاتخذها الدجاجلة أصلا شرعيا وحكما إلهيا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كان ذلك عليكم من الوبال ، وكثر فيكم القيل والقال . وان من قعد أوقام قدام رماح أهل الايمان . فهو الذي أوقع نفسه في الهوان. فجاء الرسول وأخبر أنهم اجتمعوا بشيوخهم الكبار ، الذين يعرفون حقيقة الاسرار ، وأشاروا عليهم بموافقة ما أمروا به من اتباع الشريعة، والخروج عما ينكر عليهم من البدع الشنيعة. وقال شيخهم الذي يسيح بأقطار الارض كبلاد الترك ومصر وغيرها : أحوالنا تظهر عند التتار لا تظهر عند شرع محمد بن عبدالله . وانهم نزعوا الاغلال من الاعناق ، وأجابوا الى الوفاق

ثم ذكر لي انه جاءهم بعض أكابر غلمان المطاع (١) وذكر انه لابد من حضورهم لموعد الاجتماع . فاستخرت الله تعالى تلك الليلة واستعنته ، واستنصرته واستهديته ، وسلكت سبيل عباد الله في مثل هذه المسالك ، حتى ألقي في قلبي ان أدخل النار عند الحاجة الي ذلك . وانها تكون بردا وسلاما على من اتبع ملة الخليل ، وانها تحرق أشباه الصابئة أهل الخروج عن هذه السبيل . وقد كان بقايا الصابئة اعداء ابراهيم امام الحنفاء بنواحي البطائح منضمين الى من يضاهيهم من نصارى الدهماء . وبين الصابئة ومن ضل من العباد المنتسبين الى هذا الدين ، نسب يعرفه من عرف الحق المبين، فالغالية من القرامطة والباطنية كالنصيرية والاسماعيلية . يخرجون الى مشابهة الصابئة الفلاسفة ثم الى الاشراك ثم الى جحود الحق تعالى. ومن شركهم الغلو في البشر ، والابتداع في العبادات، والخروج عن الشريعة له نصيب من ذلك بحسب ماهو به لائق كالملحدين من أهل الاتحاد . والغالية من أصناف العباد

(١) لعل اصله الأمير المطاع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فلما أصبحنا ذهبت الميعاد ، وما أحببت أن استصحب احداً للاسعاد ، لكن ذهب أيضا بعض من كان حاضرا من الاصحاب ، والله هو المسبب لجميع الاسباب . وبلغني بعد ذلك أنهم طافوا على عدد من اكابر الامراء ، وقالوا انواعا مما جرت به عادتهم من التلبيس والافتراء ، الذي استحوذوا به على اكثر أهل الارض من الاكابر والرؤساء ، مثل زعمهم ان لهم أحوالا لا يقاومهم فيها احد من الاولياء ، وان لهم طريقا لا يعرفها أحد من العلماء . وان شيخهم هو في المشايخ كالخليفة ، وانهم يتقدمون على الخلق بهذه الاخبار المنيفة ، وان المنكر عليهم ما هو آخذ بالشرع الظاهر ، غير واصل الى الحقائق والسرائر . وأن لهم طريقا وله طريق . وهم الواصلون إلى كنه التحقيق ، واشباه هذه الدعاوي ذات الزخرف والتزويق . وكانوا لفرط انتشارهم في البلاد ، واستحواذهم على الملوك والامراء والاجناد ، لخفاء نور الاسلام ، واستبدال أكثر الناس بالنور الظلام ، وطموس آثار الرسول في اكثر الامصار ، ودروس حقيقة الاسلام في دولة التتار ، لهم في القلوب موقع هائل ، ولهم فيهم من الاعتقاد مالا يزول بقول قائل (له بقية)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العالم الغربي والعرب والاسلام

(٢)

وماذا يقول الانسان وماذا عساه أن يباحث أو يناظر، لا يخجلون أن يقولوا إن الاوربيين بقوا أصدقاء للمسلمين ثلاثة قرون وانهم ما ثاروا للحرب الصليبية الا بسبب الاتراك بما تعدوا به على امم البلقان وعلى شواطيء الادرياتيك . . .

مرارا تمنينا أن الذي لا يعلم شيئا لا يتشدق به، ومرارا أملنا أن الذي يرى نفسه مخطئا يتجنب الخوض فيما لا يعرفه . ان القارىء ليرثي لهذا القول ولهذا القائل وأحيانا يغلب عليه الضحك . فانه عند ما زحف الاوربيون الى سورية وفلسطين لم يكن فيهما أتراك وما كان الترك الا في قونيه وان كان الترك حاربوا الصليبيين في قونية وانهكوهم نوعا فتكون تلك منهم خدمة للعرب الذين كانوا يومئذ هدفا للصليبيين وكان هؤلاء زاحفين اليهم فان الصليبيين كانوا قاصدين القدس والشام والحجاز ومصر لا قونية التي لم يكن لهم شغل بها . والقدس والشام ومصر والحجاز لم تكن تركية بل عربية ، ثم لما قصدوا مصر لم تكن مصر للاتراك ثم لما قصدوا تونس في زمان مارلويس لم تكن تونس للاتراك ثم لما قصدوها وأخذوها في زمن شارلكان لم تكن للاتراك . ولما استولوا على وهران وأكثر سواحل مراكش لم يكن شيء من ذلك للاتراك . ولما قصد البرتغاليون زنجبار في القرن الخامس عشر وأزالوا منها ملك العرب ثم عمان واستولوا عليها لم يكن ثمة أتراك ولما تحالفوا مع الحبشة وقصدوا محاربة مصر وتحويل النيل الازرق عن مصر لم تكن مصر للاتراك . وجميع الحروب التي قد وقعت بين الافرنج وعرب الاندلس وممالك المغرب لم يكن شيء منها بسبب الاتراك ولا كان هناك أتراك ومما يقهقه له الانسان من الضحك كون الافرنج غضبوا على المسلمين وحاربوهم لكون المسلمين كانوا يصلون لانتصار الاتراك . . . وانظر الى هذه الجملة وتأمل ما فيها من الادعاء مع خلو معناها التام من الصحة وهي هذه —

« ان التاريخ يوضح بما لا يحتمل التأويل ولا يقبل الشك ولا يجوز معه الجدل ولا تسوغ فيه المناقشة ان العالم الغربي « أي أوربا » بقي ملازما صداقة المسلمين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نحو ثلاثة قرون بعد انتصار صلاح الدين الايوبي الشهير عليه الى أرقام الاتراك وتعدهم عليه تباعا في سهول البلقان وعلى الشاطئ الادرياتيكي مما حرك فيه عامل الانتقام لزعمه — وقد يكون زعمه حقيقة ان العالم الاسلامي راض عن أعمال الاتراك هذه طالما مئات ملايين تصلي لله سرا وعلانية كي ينصر الترك المسلمين على أعداء دينهم » انتهى بنصه الشائق . . . .

ولا يعلم الانسان ماذا يصلح وماذا يصحح من الاغلاط في هذه الجملة التي يظهر انها قرئت في كتاب انكليزي فعربت بهذه الصورة واتخذت حجة وظلت آية منزلة وصارت لا تقبل الشك ولا تحتمل التأويل . . . نقول

اولا — عند ما قصد الافرنج الشرق انما كان مقصدهم بلاد العرب ولم يكن حينئذ بها اتراك

ثانيا — اعتدى الفرنج على مصر وجزيرة العرب وطرابلس وتونس والجزائر والقطر المراكشي وعرب الاندلس حينما لم يكن فيها أتراك ولا لها علاقة بالاتراك كما قلنا

ثالثا — عند ما زحف الافرنج في الصليبية الاولى (سنة ١٠٩٩) الى بيت المقدس لم يكن الاتراك وصلوا الى سهول البلقان تباعا ولا الى الشاطئ الادرياتيكي حتى يقال إن العالم الغربي انتقم من غارات الاتراك في سهول البلقان والشاطئ الادرياتيكي بالاعتداء على العرب في القدس والشام ومصر . فان الافرنج زحفوا الى سورية وفلسطين في القرن الحادي عشر وان الاتراك زحفوا على سهول البلقان والساحل الادرياتيكي في أواخر القرن الرابع عشر . فبمقتضى هذه العبارة يكون الافرنج انتقموا من العرب في بلاد العرب عن أعمال عملها الترك معهم تباعا في سهول البلقان والساحل الادرياتيكي . . . قبل وقوعها باربعة قرون ونصف وهل تظن ان المكابر يعدل عن عناده ولو ظهر له هذا الجهل الفاضح ممن نقل عنه وصدق كلامه؟ كلا قد جربنا ذلك من قبل فلم يزل الذي يعرف بمالا يعرف مصرا على خطائه

رابعا — كيف بقي العالم الغربي ملازما صداقة المسلمين نحو ثلاثة قرون؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بعد انتصار صلاح الدين عليه وصلاح الدين انتصر على الافرنج سنة ١١٩٢ وبعد ذلك جرت الصليبية الثالثة التي كانت أشد الصليبيات وبقيت الحرب فيها على عكا سنتين ثم عقبتها الصليبية الرابعة سنة ١٢٠٤ ثم الصليبية الخامسة سنة ١٢٢١ ثم الصليبية السادسة سنة ١٢٢٩ ثم الصليبية السابعة سنة ١٢٥٢ التي غزوا فيها دمياط ثم الصليبية الثامنة سنة ١٢٧٠ في زمن لويس التاسع وفيها غزوا مصر وأسر فيها مارلويس وبعد أن فدا نفسه عاد فغزا تونس ومات في حصارها .

فهذه كلها حروب اعتداء في اعتداء على المسلمين لاسيما على العرب الذين ذاقوا فيها من الاهوال والنكبات مالا يوصف وكلها من بعد صلاح الدين وضمن ثلاثة قرون « الصداقة » التي زعمها صاحب تلك الجملة المعربة . فان كانت هذه هي الصداقة فكيف تكون العداوة ياترى ؟ ثم بعد تلك القرون الثلاثة حروب أخرى تقدم ذكرها لم يكن فيها ادني رائحة للاتراك وانما اضطر عرب المغرب بتوالي تعدي الافرنج عليهم الى استنجاد الاتراك الذين استخلصوا تونس والجزائر ووهران في زمن سليمان القانوني . كما أن سواحل مراكش استخلصها من البرتغال مولاي اسماعيل سلطان فاس العظيم جد الاسرة السلجماسية . على انه من الحقائق التاريخية ان الذي زاد رابطة العرب بالاتراك هو ما رأوه فيما بعد من جهاد الاتراك في دفع الافرنج عن البلاد العربية فالافرنج هم الذين احوجوا العرب الى الاتراك

خامسا — مضحك جدا قوله إن العالم الغربي تحرك فيه عامل الانتقام لزعمه ان العالم الاسلامي راض عن أعمال الاتراك يصلي الله سرا وعلانية لنصر الترك المسلمين ، فالعالم الغربي يذبح تلك الامم ويوقع تلك المصائب كلها في أقوام كل ذنبهم أنهم صلوا لنصرة ابناء دينهم بالقتال فعلا — كما يتطوع الوف من الانكليز وغيرهم اليوم في حرب الريف بجانب الاسبان — حقا قائل هذا القول الافرنجي لايخجل ومصدقه يستحق الرثاء . لايكفي الافرنج أن قصدوا القدس من أقصى بلادهم وخربوا ديار الشام ونسفوا الحضارة العربية ودخلوا بيت المقدس فالتجأ المسلمون الى المسجد الاقصى فدخلوا اليه وذبحوهم عن آخرهم نساء ورجالا واطفالا وكانوا سبعين الفا حتى غاصت الخيل في الدم الى صدورها . وامتلأت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القدس بأشلاء القتلى فاستحيا الافرنج ثلاثمائة من المسلمين لاجل نقل الجثث وتنظيف الشوارع من الدماء وبعد ان فرغوا من عملهم هذا عاد الافرنج فقتلوهم أيضا وارتكبوا فظائع لا يسع المقام ذكرها . بل بعد ذلك كله يأتي واحد فيقول : (إنما فعلوا ذلك) لان العالم الغربي زعم وقد يكون زعمه حقيقة ان العالم الاسلامي راض عن الاتراك الذين اعتدوا على العالم الغربي في سهول البلقان والشاطيء الادرياتيكي. أي أنه يعطي العالم الغربي الحق في هذه المذابح باجمعها التي «ذبحة المسجد الاقصى واحدة منها ويرى الذنب ليس من العالم الغربي بل من المسلمين الذين « صلوا لله سرا وعلانية كي ينصر الترك المسلمين ابناء دينهم » افلا تراهم يستحقون هذه المذابح وقد صلوا هذه الصلاة؟ هذا ولو كانوا صلوا لنصر الاتراك قبل وصول الاتراك الى الادرياتيكي باربعمائة سنة . . . هنا حياني مع الذي لا يعرف مايقول اصبحت قليلة

من كان يخلق مايقو ل خيلتي فيه قليله

وماذا عساني أن اعد من تلك الحقائق الناصعة والآراء الصائبة(١) ؟ اقوله : ان بلاد شمالي افريقية بقيت عربية لكون العرب ثبتوا فيها لا من أجل كونها اسلامية؟ لم نعلم أي مؤرخ شرقي أو غربي أو فيلسوف اجتماعي قال هذا القول ، ولا كيف يتصور العقل ان مراكش والجزائر وتونس وطرابلس تبقى عربية بدون اسلام واية رابطة تبقى للبربر الذين هم القسم الاعظم فيها مع العرب ان لم يكن الاسلام؟ واية قوة كانت للعرب على البربر ليس في الوقت الحاضر فقط بل في وقت الفتح نفسه ان لم تكن قوة الاسلام . فان فتح العرب لهذه الاقطار باتفاق جميع المؤرخين شرقا وغربا انما تم واتسق بدخول البربر في الاسلام وليس بسبب آخر .

أم ذلك القول بانه يجب ان نترك هذا الحلم الجميل الذي هو نشر العربية بواسطة القرآن والمزج بهذا « الحلم الجميل » ؟ فهذا أيضا من الفلسفة التي عجزت العقول عن إدراكها ... نعم ان المستعمرين ولاسيما الانكليز تعجبهم هذه النغمة ويثمنون انتشارها ورواج هذا التضليل بين العرب طمعا في حمل أجنحة الامة العربية التي تخشى انكلترة انتظام شملها واستئناف دولتها أكثر كثيرا مما تخشى

(١) يعني أقوال ذلك المتفرنج الملحد الذي يرد عليه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاتراك . وهذا هو السبب الوحيد في كوننا نعنى باداحاض هذه الاقاويل وإزالة تلبيسها واظهار مافيها من العته لئلا يلصق بنها شيء باذهان الجالية العربية بأميركا وفيها كثير من السذج وغير المتعلمين ومن ربما يظنون ان تلك الاقاويل على شيء من الصحة، فمعلوم عند الجميع ان كل الامم العظيمة والصغيرة تجد وتداب في نشر لغاتها وتؤسس لذلك المعاهد العلمية وتنفق عليها القناطير المقنطرة . وكلما ازداد انتشار لغة ازدادت سعادة المتكلمين بها وحق إعجابهم فان انتشار لغة أمة من الامم يعتبر إضافة لعدد كبير من غير أبنائها اليها فضلا عما يستجلب اليها من الميول لان من عرف شيئا أحبه ومن جهل شيئا عاداه . والامة العربية تحسدها سائر الامم على كون لغتها هي لغة سبعين مليونا من العرب والمستعربين — المستعربين بسبب الاسلام ونفوذه الماضي لا بسبب آخر أصلا — واللغة الدينية لثلاثمائة وخمسين مليون مسلم في الارض قد امتزجت بلغاتهم الاصلية وتشكلت منها أكثر ألفاظهم العلمية . وهذا كله بدون شيء من العناء الذي يعانيه الافرنج لاجل نشر لغاتهم . أفمثل هذا الغرض الذي ترمي اليه كل الامم الراقية وتبذل من أجل بعضه الجهود والاموال الطائلة يهزأ به ؟ ويقال عنه « حلم جميل » لافائدة لنا به .

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

﴿ ثم عاد الكاتب الى ذكر تلك الدعوى الغريبة في تعليل حرب الصليبيين للعرب بأسلوب آخر وقفى عليه بقوله ﴾

ربما قيل لي كررت هذا المعنى كثيرا ولم تزل ترجع اليه فأقول بلى لانه أعجبني وأطربني جدا وحقا أراد ان يعامل ويغلط ياهت في الحقائق التي لايختلف فيها اثنان فليأت بمثل هذه المزاعم وليضحك قراءه ويطربهم والا فلا . ولا سيما عند ما يقول ان هذه الرواية هي مما لايحتمل الشك ولا التأويل ولا يقبل الجدل ولا يسوغ المناقشة » انه هو كون الافرنج لم يقصدوا سورية ولا خربوا مدنها ولا طمسوا حضارتها العربية ولا ذبحوا مئات الالوف من أهلها كالشياه ولا أجروا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدماء في المسجد الاقصى حتى غاصت الخيل فيها الى صدورها — ولما وصل الخبر الى بغداد قام العويل وعلا البكاء وهجمت العامة على دار الخلافة . وكان يوما عظيما — كلا لم يعملوا شيئا من هذه الافعال سنة ١٠٩٩ الا نكاية بالاتراك عن حروب مستقبلة سيعملونها نحو سنة ١٤٠٠ الى ١٤٥٠

وهذه أشبه بما كانت دول الخلفاء تقول للعرب قبل الحرب العامة وفي أثنائها وهو ان هذه الدول « دول الحق والعدل » ليس لها غرض سوى تحرير العرب من عبودية الأتراك وانزال العقاب في هؤلاء الاتراك البرابرة وتأسيس استقلال للعرب يستأنفون به مجدهم السابق وما زالوا يكررون هذا التدجيل على العرب وصدقهم فيه كثيرون معاتيه الله في ملكه كما يقال — ولا يزال بعضهم مصدقا — حتى وضعت الحرب أوزارها فكانت الدائرة الحقيقية هي على العرب وظهر الغش والخداع وغدروا بالحسين بن على حليفهم وهزأوا به وهم الآن بهذه المدة بعد سقوطه يحاولون إخراجه من العقبة التي هي من أراضي الحجاز الصرفة وهو أصبح لا يكره احدا في العالم كرهه للانكليز . حال كون الاتراك الآن ناعمين بملكهم مستقلين أكثر من ذي قبل « والعالم الغربي » يتزلف اليهم ظاهرا

لا تثقل علينا هذه الاقاويل من أجل تضمنها محاربة الدين الاسلامي أو الجامعة الاسلامية فاننا نحترم جميع الآراء والمذاهب ونقرأ كلام كثيرين ممن يجاهر بالالحاد أو التعطيل أو يحارب الدين المسيحي خاصة أو الدين الاسلامي خاصة ونأخذ كثيرا من أقوالهم بعين الاعتبار(١) اذا كان أصحابها من ذوي العلم والاطلاع والفلسفة والتاريخ لا بل نعجب بهم وبسعة علمهم اذا كانوا نظير الدكتور شبلي الشميل والاستاذ الزهاوي وامثالهما . والجامعة الاسلامية لا تفهمها الا بمعنى الرابطة التي يقدر أن يستفيد منها الامم المستضعفة منهم على قدر إمكانهم لان من سنة الخلق أن الضعفاء يتحدون والاقوياء يختلفون واذا كانت انكلترة اليوم وهي أقوى الاقوياء تدعو فرنسة وايطالية واسبانية لتشكيل جبهة واحدة في وجه الاسلام فما ظنك بالمسلمين الضعفاء الذين هم أحوج

(١) المنار : المراد بالاعتبار ما فيها من العبرة والموعظة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ل الانضمام . وكون ابن عبد المؤمن لم ينجد صلاح الدين أثناء الحرب الصليبية على الافرنج — على رواية انه لم ينجده — ناشيء عن كون الاسلام قويا يومئذ لا يخشى عليه بالجملة . على ان ماجاء مخالفا للواجب لا يجوز أن يكون قياسا . فقد وجد في ملوك فاس من اسقطه أهل مملكته فذهب الى الاسبان وجاء بهم وقاتل قومه افنجعل ذلك مثالا ونقول إن خيانة الملك لقومه ليست بشيء فقد فعل الملك فلان ماهو كيت وكيت؟ وكم في تاريخ الاسلام من حوادث سيئة واخبار منكرة عن ملوك وأمراء ووزراء ممالا يخلو منه أمة افنتخذ ذلك حجة ونقول : مادام فلان سرق فيجوز لي أن اسرق ومادام فلان قتل فلا حرج علي في أن أقتل ؟

وليس بالضروري الاستمساك بالجامعة الاسلامية دون سواها فالجامعة الشرقية هي اوسع منها وأكثر وسائل . ولقد استعدت لها الامم الشرقية منذ أمد وتأسست في طوكيو جمعية لغرض تحرير الامم الاسيوية من رق أوربا وصل فيها مؤخرا اجتماع يقال انه لم يسبق له مثيل في الازدحام والاكتظاظ وخطب فيه خطباء من الصين واليابان في موضوع اتحاد الامم الاسيوية ووجوب تضامنها وتعاضدها لرفع سلطة العالم الغربي عنها وستنمو هذه الجمعية ويكون لها شأن عظيم

وكان يود الانسان أن لا يكون من حاجة الى جامعة اسلامية ولا الى جامعة شرقية وان ترتفع الفوارق الدينية والوطنية وتصير الجامعة هي الجامعة الانسانية لاغير . ولكن مع الاسف نقول ان « العالم الغربي » لايزال بعيدا عن هذه الاحساسات محتقراً غيره مجوزا لنفسه استعباد سائر الشعوب في السياسة وفي الاقتصاديات وفي كل شيء بحيث لا يقدر الشرقيون ان يسترسلوا اليه أو يثقوا به . فاذا قام واحد من ذلك يناضل عن « العالم الغربي » بعلم وحكمة وانصاف وروايات صحيحة شأن العلماء سر الانسان ان ينظرهم ولو كانوا سائرين في عكس خطة الشرقيين . وأما النضال عن « العالم الغربي » بمثل هذا الخلط الذي قدمت لك انموذجات منه فهو شيء مزعج لا يطاق ويخشى الانسان منه على اذهان البسطاء اه

« مطالم »

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ماضي الازهر وحاضره ومستقبله

٤

(تتمة شرح مطالب الازهريين)

﴿ المطلب السادس ﴾ « تعديل الكشف الطبي بحيث لا يمنع من تولي وظائف التدريس بالازهر الا من به مرض معد . ومعاملة العلماء معاملة خاصة في الكشف الطبي بوزارة المعارف . وحفظ الحق المكفوفين في مباشرة وظائف التدريس بالازهر ووظائف الامامة والخطابة بالمساجد »

ان من ينظر الى الاجراءات التي يتخذها مايسمونه (القومسيون الطبي) ليثبت بها صلاحية الشخص الوظيفة يجد تلك الاجراءات شديدة وقاسية وهي أشد وأقسى اذا عومل بها الازهريون الذين اعتادوا أرعودهم ولاة الامور أن لا يمشي بهم صحيا وأن يتركوا لجيوش الامراض المختلفة تفتك بهم . فأماكن الدراسة في الازهر والمعاهد الدينية التي لا تصلح — ولم توجد الا لتكون أماكن للعبادة فقط — تنال من الطالب في مدة الدراسة الطويلة القاسية وفي زمني الحر والقر مايكفي لان يهدم منه الجسم السليم ويضعف الصحة الجيدة . هذا الى المتاعب الكثيرة التي يستلزمها الانكباب على الدرس والتحصيل . سيما في العلوم الازهرية البعيدة الغور والطويلة المدى . ولا ريب أن ذلك كاف لان يحول دون استيفاء خريجي الازهر للشروط التي يفرضها القومسيون الطبي فلا بد أن تكون للازهريين معاملة خاصة تراعى فيها الاعتبارات التي ذكرنا . سيما ان هذه الاجراءات لم يكن الازهريون بها عهد ولم يقيدهم بها قانون على انه اذا أجيب مانطالب بشأن أماكن الدراسة وغير ذلك من المطالب فقد يكون لولاة الامور الحق في أن يعاملوا من ينتفع بهذه الاصلاحات معاملة بقية اخوانهم خريجي المدارس

واذا ثبت بما ذكرنا وجوب تعديل الكشف الطبي بالنسبة للازهريين فلنذكر ان هذا المطلب يشمل أمورا ثلاثة (١) ان لا يمنع من وظائف التدريس بالازهر إلا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من به مرض معد (٢) أن يعامل العلماء إذا عينوا للتدريس بوزارة المعارف معاملة خاصة كالاكتفاء بنصف نظر في مجموع العينين (٣) حفظ الحق للمكفوفين في مباشرة وظائف التدريس بالازهر ووظائف الامامة والخطابة بالمساجد ونكتفي بما قدمنا عن الكلام في الامرين الاولين ونتكلم من الامر الثالث

ذلك أن المكفوفين الذين يمضون زمنا طويلا في الازهر يكدون لنيل شهادة العالمية — هم أولى الناس بالعطف عليهم وأجدرهم بالاخذ بناصرهم فلا بد أن يفتح لهم باب الامل بما يتناسب مع كدهم واجتهادهم وما أحاط بهم من اعتبارات أخرى أما حرمانهم نهائيا من كل عمل فمعناه انهم ليسوا أهلا لشيء وإنهم أضاعوا حياتهم سدى وهو تصرف لا يستطيع انسان تبريره أو الذود عنه سيما أن كلهم أو جلهم يحتاج بعد تخرجه الى المعونة وما يسد به رمقه في الحياة والى ما يجعله كذلك عضوا نافعا في الهيئة الاجتماعية . فلا بد أن يعطوا حظهم من الانصاف والرعاية

واذا طلبنا لهم حق التدريس بالازهر وهو ما كان حقهم حتى الزمن القريب وحرمتهم منه القوانين الحديثة — فانا لا نطلب لهم مالا يستطيعون فكثير منهم في كل زمن كانوا من رجال العلم النابهين وأساطينه الاجلاء

ولا يزال العلم والدين مدينين لا مثال عبد الله بن عباس وعبد الله بن أم مكتوم و . و . في العصور الغابرة وأن كثيرا من مكفوفي العصر الحاضر في الازهر خاصة وفي مصر عامة لدليل جدي على أن الله عوض هذه الطائفة المسكينة من فقد أبصارهم — ذكاء حادا وفكرا ثاقبا وقلبا بصيرا . وليس من مصلحة العلم والدين أن تقبر تلك المواهب ويحرم الناس من الانتفاع بها بحجة أن أهلها غير مبصرين .

على أنه لا يزال الى اليوم عدد كبير من علماء الازهر المكفوفين يباشرون التدريس بالازهر . وليس من يعيب كفايتهم فيما يكلفون به من مختلف الفنون

واذا كان التدريس بالازهر من الحقوق الضرورية للمكفوفين فانه يستلزم أن لا يحرموا من دخول قسم التخصص بالازهر . ومما يساعد ذلك أن المرسوم الملكي الكريم الصادر بانشاء قسم التخصص لم يشترط للدخول له سوى نيل شهادة العالمية دون أن يفرق بين مكفوف ومبصر فلا يصح مع هذا الاطلاق أن يكون

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التخصص وقفا على طائفة خاصة لتهمل طائفة اخرى هي أحوج الناس الى المعونة والعطف

وأما حقهم في الامامة والخطابة فليس لاحد أن يقول ان بهم مانعا من الاهلية له فمن الواجب أن يعطوه لتكفل لهم حاجتهم الضرورية ولينتفع المجتمع بكثير من الكفايات التي من الله بها عليهم

﴿ المطلب السابع ﴾ «ارسال بعثات الى الجامعات الاوربية لدراسة العلوم التي تتناسب مع التعليم في الازهر : واتخاذ الطرق التي تكفل ذلك »

لقد دهش بعض الناس لهذا الطلب واعتبروه غريبا في ذاته وانه لا يليق بطالب العلم الديني : ولكن الازهر الناهض الذي يريد أن يستعيد مجده وكرامته وأن يشغل المركز الجدير به بصفته أكبر جامعة شرقية اسلامية يجب أن ينال هذا المطلب الضروري وأن تتخذ له الوسائل التي تكفل نجاحه

أو لسنا في حاجة لعلوم جديدة في حياة الازهر الجديدة ؟ أو تأل الى دراسة تلك العلوم التي جاءت الازهر منذ زمن غير بعيد كالتربية دراسة وافية ؟

ثم أليس من اللازم مثلا أن ندرس في جامعات أوربا فلسفة الديانات وغيرها من العلوم التي لها علاقة بالاديان والا فكيف نفعل ونحن نرى الاجانب يدرسون الى جانب ديننا — ديننا أيضا ليتقولوا علينا اذا شاءوا وليحرفوا الكلم عن مواضعه في الوقت الذي لا ندري نحن من ديننا شيئا لنرد باطلهم بحقنا ؟؟

فمن الضروري أن نلم بذلك كله ونتوسع فيه توسعا نتمكن به من تأدية واجباتنا على الوجه الاكمل فأن في عنقنا واجب الدفاع عن الدين واذاعة شأنه بين الناس ، وذلك يستلزم الوقوف على كل ماله مساس بالاديان

ومن الضروري أيضا أن يكون من البعثة الازهرية من يتخصص في الفلسفة والتاريخ والعلوم العقلية فنكون قد عملنا على أن نعيد للعلم في الشرق والازهر قوته وشبابه وفي ذلك مفخرة عظيمة لمصر تجعلها على الدوام قبلة رواد العلوم والآداب في الشرق عامة

ولقد فطن الي ذلك منشيء مصر الحديثة محمد علي باشا فارسل بعثات كثيرة الى الخارج كانت كلها أو أغلبها من الازهريين : وقد كان أولئك المبعوثون بعد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عودتهم قواد النهضة العلمية المزدهرة التي غمرت مصر ورددت البلاد الشرقية صداها وكان لها منها الاثر الجميل

واذا كان هذا أثر البعثات الازهرية في الماضي فان بوسع مصر في الحاضر أن تستفيد مما يمتاز به الازهري من نشاط وكفاية ودأب على العمل واستعداد للتفوق والنبوغ فترسل الى الخارج من الازهريين من يكون عونا لها في مستقبلها المحتاج الى الكفاح الشديد في سبيل سعادة الاهلين

وما يقوله بعض قصار النظر من أن ارسال الازهريين الى الخارج مفسد لدينهم هو من باب الوهم الذي لا يقبله عقل . فانما يفتتن عن دينه أولئك الجاهلون بالدين الذين لم تمتزج تعاليمه بأنفسهم ولم يدركوا أسراره ومبادئه لا الازهريون الذين هم أعرف الناس بالدين والذين عملوا جهدهم لحفظه وكانوا على الدوام حماته الاماجد وحراسه القادرين

واذا قال أحد ان الازهريين لا يملكون الوسيلة التي يتمكنون بها من السفر الى الخارج كاتقان اللغة الاجنبية — فانا نرد عليهم بانا نقبل عن طيب خاطر أن ينشأ قسم اختياري بالازهر لتعليم اللغات يستطيع بواسطته الطالب اتقان اللغة التي يريدها ليكون على استعداد للسفر : وليس في تعلم اللغة الاجنبية واتقانها ما يمكن أن يكون موضع اعتراض من الوجهة الدينية أو غيرها . على أن عددا غير قليل من الازهريين يدرس الآن بعض اللغات خارج الازهر وكثير منهم يتقن هذه اللغات التي يدرسها مما يدل على استعداد الازهريين للسفر في البعثات من الآن اذا أجابهم الى طلبهم ولاة الامور

﴿ المطلب الثامن ﴾ «ايجاد أمكنة صحية صالحة للدراسة غير الامكنة الحالية التي يدرس فيها الطلبة »

لقد قلنا فيما سبق عند الكلام على الكشف الطبي وجوب تعديله بالنسبة للازهريين « ان أماكن الدراسة الحالية في الازهر والمعاهد الدينية التي لا تصلح ولم توجد — الا لتكون أماكن للعبادة فقط — تنال من الطالب في مدة الدراسة الطويلة القاسية وفي زمني الحر والقر ما يكفي لان يهدم منه الجسم السليم ويضعف الصحة

الجديدة والآن نقول ان هذه الاماكن التي يدرس بها الازهريون لا تستوفي شرطا واحدا مما توجبه التربية الحديثة فالطلبة يضطرون للجلوس متربعين طول يومهم لايحول بينهم وبين الارض سوى حاجز بال من الحصير لايدفع رطوبة ولا يمنع أذى ولاريب ان تلك الجلسة الدائمة على الشكل الذي ذكرنا مما يعرض صحة الطلبة للضعف ويجعلهم عرضة لشتى الامراض فضلا عن تشتيت أذهانهم وفقد انتباههم أثناء إلقاء الدرس مع ان الانتباه واجتماع الذهن ضروريان ليستفيد الطالب مما يلقى عليه استفادة صحيحة قيمة .

هذا مع أن في تجاور الدروس بدون حاجز يفصلها عن بعضها مايدعو لاختلاط أصوات المدرسين والتهويش على بعضهم ومايتبع ذلك من الجلبة والضوضاء وسماع الطلبة الذين يجلسون في آخر الحلقات أصوات مدرسي الفصول الاخرى التي قد تكون أصواتهم أقرب اليهم من أصوات مدرسيهم . وان أقل نظرة لحالة الدروس بالازهر وقت انتظامها تكفي للاقتناع وليس هذا من المصلحة في شيء على انه ليس هناك مايصح أن يسمى موازنة بين أماكن الدراسة بالمعاهد الدينية والمدارس الاخرى من حيث استيفاء الشروط التي تستوجبها التربية فان شرطا واحدا من الشروط التي توجبها لا يوجد بأماكن الدراسة بالازهر في الوقت الذي لاتنقص فيه المدارس الاخرى شرطا واحدا . ونحن على يقين بأن ذلك لا يرضي ولاة الامور لانهم مقتنعون بأن من الضروري لمصلحة الطلبة ولتمام الاستفادة المدرسية صلاحية الاماكن للدراسة واستيفاءها للشروط اللازمة وذلك ما يجب أن ينظر اليه بعين الاعتبار في المعاهد الدينية

﴿ المطلب التاسع ﴾ « جعل الوظائف الكتابية بالمحاكم الشرعية حقا مشتركا بين جميع المذاهب »

لا ريب في أن هذا الطلب مع عدالته لا يكلف الحكومة شيئا من المال وهو ليس الا تنازلا من علماء الحنفية عن بعض حق هو لهم رضوا بأن يشركهم اخوانهم من المذاهب الاخرى في الانتفاع به لان لاولئك الاخوان من الكفاءة لهذا العمل مالهم (الاحناف)

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

على انا اذا اعتبرناه حقا للاحناف فليس الا مجاراة لما هو واقع دون شيء آخر لان القانون جعله حقا مطلقا لجميع العاملين دون أن يفرق بين مذهب ومذهب. أليس من المصلحة مراعاة هذا الاطلاق لاسيما أن فيه تحقيقا للعدالة ؟؟

وما دامت الكفاية والاهلية موجودتين فلا سبيل لاهمالهما

لو أن الكتابة بالمحاكم الشرعية تشمل اصدار أحكام فقهية على مذهب الحنفية لما كان للاحناف أن يرضوا بمشاركة غيرهم لهم في هذه الوظيفة ولما كان لغيرهم أن يطلبها واذا كانت وزارة الحقانية قد اتخذت - ولا تزال - مفتشين للمحاكم الشرعية من غير الحنفية فأولى لها أن تقبلهم في وظائف الكتابة التي لا يسوغ حرمانهم منها

﴿ المطلب العاشر ﴾ « إلغاء القوانين الاستثنائية والاجراءات التي ترتبت عليها واباحة الانتساب والتحويل الى الجهة التي يريدها الطالب »

لقد كان مما لا يتوقع أن تصدر قوانين جائرة تقيد بها حرية رجال الدين الازهريين في التعبير عن ميولهم وآرائهم سواء كانت هذه الآراء في اصلاح الازهر أو في حالة البلد العامة لان الآراء يجب أن تكون على العموم محترمة وأن يفسح المجال لظهورها لا أن تتخذ الوسائل لقمعها واذا وجب أن تحترم الآراء وأن تكون حرة فان أولى بالاحترام والحرية آراء المتعلمين من رجال الدين فهي على كل حال بعيدة عن أن تكون سيئة الغاية أو منكرة الاثر

ان الازهريين محوطون دائما بآداب دينهم وأوامره ونواهيه وهذا كاف لان يحول بينهم وبين مايمكن أن يكون أداة شر أو وسيلة للافساد فكان من الضروري أن يكون لهم مالسائر طوائف الامة من تمام الحرية في التعبير عن أفكارهم وميولهم مادام ذلك في حدود القانون العام

واذا كانت هذه القوانين قد ألجيء اليها في ظروف خاصة أيام كانت البلاد خاضعة خضوعا مطلقا للاجنبي ، ولم تكن الوزارات شاعرة بشيء من الاستقلال في خدمة البلاد فان من الضروري ازالة هذه القوانين بعد أن تغيرت الحال وأصبح للبلد دستور يضمن حرية الآراء

وليس مايدعو لان نذكر بالتفصيل مبلغ هذه القوانين من الجور ويكفي أن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نقول انها مخالفة للدستور وهي مع ذلك في شكلها وجوهرها مما لا مثيل له في جامعة من الجامعات . بل ولا في مدرسة من المدارس المصرية وذلك كاف لوجوب الغائها مع ما ترتب عليها من اجراءات

وكذلك يجب أن يحدد النظر في القانون القاضي بقصر طلبة كل جهة على المعهد القريب لهم دون أن يسمح لاحد منهم بالانتساب الى معهد آخر

فقد تكون وسائل حياة الطالب موفورة في بعض الجهات دون بعض وقد تكون هناك اعتبارات اخرى كوجود الطالب مع من يعوله أو يلي أمره فمن الضروري أن تراعى في القانون المذكور هذه الاعتبارات حتى لا يحال بين العلم والراغبين فيه

﴿ المطلب الحادي عشر ﴾ « جعل الامتحانات على دورين في السنة الواحدة حسب المتبع في المدارس »

اذا راعينا كثرة المواد المقررة في سني الدراسة بالازهر والكتب التي تدرس فيها تلك المواد وغزارة مادتها وحاجتها الى البحث المطرد والتعمق فيه ، نجد أن من اللازم لمصلحة العلم والطلبة أن يكون هناك امتحانان أحدهما في آخر السنة الدراسية الماضية وثانيهما قبيل العام الدراسي المقبل ولكل شخص الحق في دخول أي الامتحانين على أن لا يعتبر الثاني ملحقا للاول ويكون لمن رسب في الامتحان الاول ولو في كل المواد أن يدخل الامتحان الثاني وما دامت الغاية من الامتحان هي أن يتأكد من احاطة الطالب بالمواد التي درسها فلا على ولاة الامور أن يكون ذلك في أي الامتحانين ، مع مراعاة أن اعطاء الطلبة هذا الحق يفتح باب الامل لمن يخونهم الحظ في آخر العام لاسباب قد لا يكون في وسعهم دفعها فتهيأ لهم الفرصة ليتمكنوا من حفظ عام من حياتهم وفي ذلك أيضا تخفيف العبء عن ولاة امور الطلبة في الانفاق عليهم سيما من الطبقات غير الغنية وذلك مالا يحسن اهماله لمصلحة العلم والمتعلمين

﴿ المطلب الثاني عشر ﴾ « انتقاء الكتب وتعديل البرامج بما يتناسب مع حاجيات العصر الحاضر والتقدم العلمي الحالي »

بعد هذا المطلب من لوازم الاصلاح المنشود ، فان الكتب المقررة الآن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بالازهر قد ألفت في عصور سابقة تختلف حالتها كثيرا عن حالة هذا العصر. فالاسلوب الذي كتبت به والابحاث التي تناولتها يحتاجان إلى كثير من التهذيب والتنقيح · ليتفق ذلك مع حاجيات هذا الزمن.

ففي التوحيد مثلا لا تزال تدرس الكتب التي تبحث مذاهب السوفسطائية وما عليها من ردود مع انقراض هذه المذاهب وأصحابها. وقد كان الواجب أن يعنى بمذاهب الالحاد التي تفشت في هذا العصر فتدرس ماهيتها وطرق دحضها والرد عليها. وفي علوم البلاغة ندرس كتبا لا تجاوز الحد إذ قلنا انها معقدة لا تعين الطالب على فهم روح العلم وهي مع ذلك تأخذ من وقته أكثر مما يأخذ منها، وبإجمال فان كثيرا من الكتب المقررة بالازهر تحتاج الى تهذيب أو استبدال

ولا ريب أن الميول اذا اتجهت الى سد هذا النقص وجدت ذلك من الميسور فان للعرب مؤلفات قيمة تتفق مع حالة العصر. وما لا يوجد من ذلك فمن الممكن أن تقوم به لجنة تناط بها هذه الغاية وفي مصر من الرجال الاكفاء في الفنون المختلفة من يؤدي ذلك على أكمل وجه

وأما تعديل البرامج فانا نطلبه ليسير الازهر جنبا الي جنب مع أكبر المعاهد العلمية وليعلم المنتقدون أنا لسنا جامدين وأنا على استعداد لان يستفيد الازهر من كل تقدم علمي في الخارج ليحتفظ بمجده الخالد وليبقى معهد الشرق العظيم كما كان في سالف الايام

الخاتمة

وبعد، فقد وضحنا مطالب الازهر بعد ان صورنا متاعبه وآلامه ولا ريب ولا ريب ان قارئها الكريم وجد فيها آية الحق الواضح، ولمس برهان العدالة الناصع ومن اجل ذلك لا يخامرنا الشك في انها ستلقي تعضيداً يشعر الازهريين ان العدل لا يعدم انصاراً يذودون عنه ويساعدون على ان يسود. ولولا اعتقادنا ان للحق صولة على الافئدة. وسلطانا مهيمنا على النفوس. لكان لنا مندوحة عن الشكوى ولكنا بسطنا هذه الادواء وشفعناها بادويتها الناجعة. ولا شفيع لنا غير ما تضمنته

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من الحقائق . فالى كل غيور نزجيها على هذه الصفة. وعليها يرحب الازهر ممن يتقدم لنصرته وارجاع مجده اليه وفق الله الجميع الى مافيه الخير العام

عبد الوكيل جابر . محمد نهمي السيد . عبداللطيف محمد السبكي : مصطفى العطيفي ، كامل محمد حسن ، محمود حسين مهدلي ، علي محمد حسن ، جادسليمان محمد محمد الجسر ، عبد الحميد مطاوع ، منصور علي رجب ، عبدالحكيم أبو المعالي طه علي طه ، محمد عبد الله ابو النجا ، محمود عبد الدايم ، حامد عوني ، محرز السباعي ، احمد علي احمد ، عبد الفتاح محمد ، عبد الحميد عباس ، الابجر ، صالح مومي ، محمد الفحيل ، محمد ابو الحسن ، محمود خليفه ، محمود الخولي ، عبدالعظيم المسلاوي ، حسين مشرف ، نصار شديد ، محمود ربيع ، احمد هنداوي ، محمود نعيم جاد ، مشهور احمد هندي ، علي علي الطباخ ، علي محمد عامر ، زكريا حسن مكاوي ، محمد الاباصيري ، محمود عوض ، محمد منير محمود ، عبد الرحمن النواوي ، أحمد الكومي ، عبد العظيم سالم حسين السيد عبدالله ، أحمد طالب عبد الله ، حسن سيد احمد البخشونجي انتهى

(المنار) أوردنا ما تقدم بنصه وسنعلق عليه بعض الفوائد والآراء في المقال الآتي

عاقبة العرب وآخر عهد الاسلام بالاندلس

﴿ شروط تسليم غرناطة لاسبانية وعاقبة المسلمين معها ﴾

مقتبس من خلاصة تاريخ الاندلس للامير شكيب أرسلان

أما شروط تسليم غرناطة فقد سردها المرحوم ضيا باشا في تاريخه للاندلس وهي خمس وخمسون مادة تتضمن تفاصيل ما وقع عليه الاتفاق وفي طيها من عهود المحاسنة والملاطفة والمراعاة والمحافظة على أعراض القوم وعقائدهم ودمائهم وأموالهم وكراماتهم وراحاتهم ما لا يفي به إلا نصه

وقد تكرر في المادة الخامسة الرد من الملك والملكة باحترام ديانة المسلمين ومساجدهم وأوقافها وأموالها المحفوظة، وعدم التعرض لامورهم الشرعية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بل إعادة ذلك إلى فقهائهم والمحافظة على أصول الفقهاء وعاداتهم وملابسهم وأن يبقى هذا العهد معمولا به في الاعقاب وأعقاب الاعقاب .

وفي المادة السادسة عدم سلب أسلحة المسلمين ومراكبهم ومواشيهم إلا الاسلحة النارية فتقرر أخذها

وفي المادة السابعة تسهيل السفر لكل من شاء الهجرة باموالة وامتعته وفيما بعدها إجازته على نفقة دولة قشتالة من أي مرسى أراد وتسهيل معاملات بيع العقار لمن شاء الرحيل ، واذا لم يتهيأ البيع ووكل صاحب الملك وكيلا تعتبر وكالته ويساعد على استيفاء حاصلاته وايصالها اليه بمكانه وراء البحر

وورد في المادة الحادية عشرة تشديد مجازاة كل من يدخل من النصارى جاسوسا بدون رخصة الفقهاء

وورد في المادة الخامسة عشرة إعفاء السلطان أبي عبدالله وسائر أمراء المسلمين وقوادهم وفقهائهم من الضرائب والرسوم وإقرار الجميع على امتيازاتهم كما كانوا لعهد ملوكهم وأن تكون كلمتهم نافذة وقولهم مسموعا

وورد في المادة السادسة عشرة والتي بعدها ما يتضمن عدم جواز دخول أحد من النصارى بيوت المسلمين حتى ولا الملك والملكة ومن خالف ذلك من النصارى يجازى بشدة

وفي المادة الخامسة والعشرين اذا فر أحد من أسرى المسلمين المعتقلين في سائر الممالك ووصل الى غرناطة فقد نجا ولم يكن لمأموري شرطة غرناطة أن يمسكوه لكن ذلك الامتياز مخصوص بعرب الاندلس لا يتناول أسرى المغرب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي المادة الثلاثين أن من أسلم من النصارى قبل هذه الكائنة فلا تجوز معاملته الا بالحسنى ولا يرى أقل تحقير ومن خالف ذلك ينال من الجزاء شدة . وفي المادة الواحدة والثلاثين لا يجبر مسلم ولا مسلمة على قبول الدين المسيحي

وفي المادة الثانية والثلاثين اذا كان المسلم متزوجا بنصرانية وأسلمت لا تجبر على الرجوع الى دينها الاصلي والذين يتولدون من هذا الزواج يعدون مسلمين ولو ارتدت الزوجة عن اسلامها

وفي الخامسة والثلاثين لا يرد المسلمون شيئا مما غنموه أثناء الوقائع التي جرت الى يوم تسليم البلد وفي التي بعدها لا يعاقبون على شيء مما مضى من تحقير الاسرى أو اهانتهم

وفي الثانية والاربعين تفصل الخصومات بين المسلمين والنصاري في مجلس مؤلف من قاضيين أحدهما مسلم والآخر مسيحي

وفي الثالثة والاربعين تعاد جميع أسري المسلمين في مدة ثمانية أشهر من أي بلاد وجدوا فيها من اسبانية وفي مدة خمسة أشهر ان كانوا في بلاد الاندلس

وفي الثانية والخمسين عدم استخدام شرطة من النصارى لمراقبة شؤون المسلمين بل تكون شرطتهم من انفسهم

وفي آخر هذه المعاهدة تعهد الملك فرديناند وامرأته صاحبا ممالك قشتالة واراغون وليون وصقلية ان يحافظا على نص شروطها حرفا بحرف وينفذا جميع أحكامها من خاص وعام وكلي وجزئي بكمال التدقيق وبدون ادنى زيادة ولا نقصان مهما يكن من الاسباب وان تبقى على شكلها وهيئتها ولا يتغير ولا يتبدل حرف منها الى الابد ، ولا يمكن احداً من خلفاء الملكين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المشار اليها ولا خلفاء خلفائهما ولا حفدتهما ولا اولادهم الى ما شاء الله أن ينقضوا اقل حكم من احكامها او يبدلوا حركة من حركاتها ، واعطى الامر بها الى الامراء والوزراء والقواد والاجناد والرهبان والرعية من حاضر وغائب ، وقاص ودان ، وكبير وصغير ، وأعلن أن من يجتري على الخلل بشيء مما تضمنته هذه المعاهدة يجزى جزاء من اقدم على افساد البرآءات الملوكية او تقليد الحجج والسندات بدون ادنى تأخير

واقسم الملك فرديناند والملكة ايزابلا وسائر من أمضوا الشروط على دينهم وشرفهم برعايتها الى الابد على الصورة المبينة وكتبت على رق غزال محلى ومطرز تحريراً في ثلاثين من كانون الاول سنة احدى وتسعين واربعمائة والف من الميلاد

وحررها فرناندو صفره بأمر الملكين وأمضاها الملك فرديناند والملكة ايزابلا وأولادهما الدون جان والدونة وايزابلا والدونة حنة والدونة ماريانة والدونة كتالينة ورئيس أساقفة أشبيلية الدون دياغو هرتادو رئيس أساقفة صانتياغو الدون الفونس وكبير فرسان صانتياغو المسمى بالدون الفونس أيضا والدون جان كبير فرسان القنطرة والدون الفارو زعيم رهابين ماريوحنا والدون بيرو غوتزالس كردينال اسبانية ورئيس أساقفة المملكة والدون هنري كبير حكومة أراغوز ومن أبناء عم الملك والدون ألفونس من أبناء عمه أيضا والدون الفارو مدير دائرة الملكين والدون بترو فرناندز رئيس جند قشتالة ويليهم نحو من أربعين دوناً كلهم من أبناء السلالة المالكة وأساقفة البلاد واسراتها وايمانها وقوادها

وكتب ايضا معاهدة اخرى لسلطان غرناطة ابي عبد الله بن ابي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحسن متضمنة اربع عشرة مادة فيها تمليكه الاقطاعات والاراضي والبلدان التي وهبها اياه الملكان معينا كل منها بذاته والتعهد باعطائه اربعة عشر مليونا وخمسمائة قطعة من السكة المعروفة بالمراويد عند دخولهما قلعة الحمراء واقرار ملكيته لجميع العقار الموروث، واعفاؤه من دفع الضرائب والرسوم واداء المكوس عما يجلب من الامتعة برسمه، وانه في اي وقت شاء بيع هذه الاراضي والاملاك يشتريها الملكان كلها بقيمتها العادلة وان لم يشأ بيعها واراد النقلة الى بر المغرب فالوكيل الذي يعينه عليها يستوفي له حاصلاتها ويوردها عليه في اي جهة كان مما وراء البحر وفي اي وقت يحول على الاجازة تنقله مع رجاله وعياله وأمواله سفن دولة قشتالة مجانا ولا يطالب بشيء ولا يكون مسؤولا عن شيء مما حصل الى حين عقد الصلح ولا يسترد شيء مما غنمه. وجميع هذه الشروط كما هي جارية في حقه تجري أيضا في حق والدته وشقائقه وزوجته وزوجة مولاي ابي نصر والعهدة الثانية مؤرخة في يوم تاريخ الاولى الا أني وجدت اكثر المؤرخين يؤرخون إمضاء المعاهدات في ٢٥ كانون الاول وفق ٢٢ المحرم سنة ٨٩٧

(ثم نقل المؤرخ رواية نفح الطيب في تسليم غرناطة وبعض شروط الصلح بينهم وبين المسلمين مخلصا بما نصه)

«وفي ثاني ربيع الاول من سنة ٨٩٧ استولى النصارى على الحمراء ودخلوها بعد أن استوثقوا من أهل غرناطة بنحو خمسمائة من الاعيان. هنا خرف الغدر وكانت الشروط سبعة وستين منها تأمين الصغير والكبير في النفس والاهل والمال وابقاء الناس في اماكنهم ودورهم ورباعهم وعقارهم ومنها اقامة شريعتهم على ما كانت عليه ولا يحكم على أحد منهم الا بشريعتهم — وأن تبقى المساجد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كما كانت والاوقاف كذلك وان لا يدخل النصارى دار مسلم ولا يغصبوا احداً — وأن لا يولى على المسلمين نصراني ولا يهودي — وان يُفتك جميع من أسر في غرناطة من حيث كانوا وخصوصا اعيانا نص عليهم، ومن هرب من أسرى المسلمين ودخل غرناطة لا سبيل عليه لمالكه ولا لسواه والسلطان يدفع ثمنه لمالكه ومن أراد الجواز للعدوة لا يمنع ويجوزون في مدة عينت في مراكب السلطان لا يلزمهم الا الكراء ثم بعد تلك المدة يعطون عشر مالهم والكراء — وأن لا يؤخذ احد بذنب غيره — وأن لا يقهر من أسلم على الرجوع للنصارى — وان من تنصر من المسلمين يوقف اياما ويحضر له حاكم من المسلمين وآخر من النصارى فان ابى الرجوع الى الاسلام تمادي على ما اراد — ولا يعاقب من قتل نصرانيا أيام الحرب ولا يؤخذ ما سلب من النصاري ايام العداوة ولا يكلف المسلم بضيافة اجناد النصارى ولا يسفر لجهة من الجهات — ولا يزيدون على المغارم المعتادة وترفع عنهم جميع المظالم المحدثة ولا يطلع نصراني للسور، ولا يتطلع على دور المسلمين، ولا يدخل مسجدا من مساجدهم ويسير المسلم في بلاد النصارى آمنا في نفسه وماله ولا يجعل علامة كما يجعل اليهود(١) وأهل الدجن — ولا يمنع مؤذن ولا مصل ولا صائم ولا غيره من أمور دينه ومن ضحك منهم يعاقب، ويتركون من المغارم سنين معلومة وان يوافق على كل الشروط صاحب رومة ويضع خطه. وامثال هذا مما تركنا ذكره. انتهى المراد منه

(١) لعل الاصل: ولا يجعل علامة الخ — ا ر — ولا يجعل له علامة كما يجعل لليهود اه مصححه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ نقض الاسبانيول عهد مسلمي الاندلس وتنكيلهم بهم ﴾
واكراههم على التنصر

قال صاحب المختصر المذكور

ولنذكر حالة بقية مسلمي الاندلس بعد ذهاب ملكهم فيها فنقول. ورد في تاريخ « الاسلام في اسبانية » تأليف ستانلي لانبول ماحصله « إن آخر أنفاس أبي عبد الله على تلك الربوة لم يكن بآخر حر أنفاس المسلمين في تلك الديار، بل بداية أنفاس يرسلونها الصعداء، وافتتاح عهد انتقام وابتلاء، وان أسقف غرناطة الاول هرناندو دوتالافيره كان رجلا حليما عادلا أحسن معاملة المغاربة وأبى الجور عليهم وتعلم العربي وكان يصلي به وعلى يده ارتد ألوف من المغاربة إلى النصرانية. قيل ان ثلاثة آلاف تنصروا في يوم واحد. الا ان الكردينال كسيميناس الذي كان من القسم المحارب بين رؤساء الكنيسة اعتسف السبيل ومال الى العنف والاكراه وأساء معاملة المسلمين وحمل الملكة ايزابلا على ما بقي نقطة دهماء في تاريخ حياتها من اضطهادهم واستعبادهم واكراههم على التنصر، فأثار ذلك ساكنهم، وأخرج كامنهم؛ وفي احدى المرات حبست امرأة من البيازين لشأن من هذا القبيل فثار سكان البيازين وتحصنوا وحملوا السلاح وكادوا يفتكون بالجند وأوشك الدم ان يسيل بحدة الكردينال كسيميناس

الا ان المطران هرناندو الموصوف بالوداعة دخل ربض البيازين بالسكينة والانس مع نفر قليل من حاشيته بدون سلاح وسأل القوم عن شكواهم وتقبلها منهم بالاستماع والاحتفال وهدأ روعهم وأعاد طائر الامن الى وكره وحجب الدماء يومئذ على أن كسيمينيس المشهور لم يزل يغوي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الملكة حتى أصدرت أمرها إكراه المسلمين على احدى الخطتين الجلاء أو النصرانية وذلك بأنهم كانوا يذكرون المسلمين بأنهم سلالة النصارى في الاصل، فأقفلت المساجد وأحرقت الكتب، التي هي ثمرات القرون وزبد الحقب، وأذيق المسلمون العذاب اشكالا وألوانا، ففضل عامتهم فراق دينهم على فراق اوطانهم، لان شعلة من الحمية الاسلامية بقيت تلمع في جبال البشرات حيث حمتهم أوعارهم من مضطهديهم

وأول جيش ارسل اليهم تحت قيادة الدون الونزو دو اغيلار البطل الشهير انهزم هزيمة شنعاء وذلك في سنة ١٥٠١ وقتل الدون المذكور وقيل انه الدون الخامس المقتول من عشيرتهم في حرب المسلمين فازداد انتقام الاسبانيول من المغاربة بعد هذه الغلبة وهجم كونت طنديلة على قوجار وهدم كونت سرين جامعا على جماعة التجأوا اليه من المسلمين بنسائهم وأطفالهم، وأمسك الملك فرديناند بنفسه الطريق على الفارين من الجبال فمن بقي حيا من الثوار فر الى مراكش ومصر والبلاد العثمانية وانتهت الثورة الاولى في الجبال

ومضى على ذلك نصف قرن والبغض دفين في القلوب والمسلمون المتنصرون يعمدون أولادهم ظاهرا فاذا انصرف القسيس مسحوا عن الولد ماء المعمودية. واذا تزوج أحد الموريسك (لقب المتنصرة من المغاربة) أجرى القسيس عقد الاكليل ثم بعد ذهابه عقدوا النكاح بحسب السنة الاسلامية

وكانوا يتقبلون قرصان البحر من أهل المغرب ويعاونوهم على اختطاف أولاد النصارى ويأتون غير ذلك فلو كانت ثمت حكومة عاقلة قويمة ترعى عهودها التي واثقت عليها عند تسليم غرناطة لم يكن محل لذلك البغض العميق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولكن حكام الاسبانيول لم يكونوا أهل عقل ولا عدل وكانوا يزدادون بتمادي الايام شراً، وإن تابث الاوامر ان صدرت باكراه المغاربة على ترك ألبستهم المخصوصة بهم وعلى لبس البرنيطة والسراويلات الاسبانيولية، ومحظر الغسل ودخول الحمام عليهم اقتداء بغالبيهم في احتمال الاقذار، ثم منعوهم من التكلم بالعربية وصدر الامر بأن لا يتكلموا بغير الاسبانيولي، بأن يغيروا اسماءهم ويسيروا سيرة اسبانيولية ويسموا أنفسهم اسبانيولا، وكان تصديق الامبراطور شرلكان هذا الامر الفظيع في سنة ١٥٢٦ على انه لم يكن الظاهر من اعتماده اجراؤه بالفعل لكن عماله اتخذوه ذريعة لاستنزاف اموال الموسرين من المغاربة، صار ديوان التفتيش يحترف ويتجر بهذه المسألة ولما صار الامر الى فيليب الثاني شدد في إنفاذ الاوامر بحق الموريسك وسنة ١٥٦٧ عزز الامر الصادر بشأن تغيير الزي واللغة باستيثاق غريب لاجل منع النظافة التي هي من سنن الاسلام وذلك بأنه أخذ يهدم حمامات الحمراء البديعة فالطرائق التي أخذوا بها لتنكير احوال تلك الامة هي اشد من ان يحتملها أي قبيل كان، دع سلائل المنصور وعبد الرحمن وابناء سراج، ولذلك لم يطل الزمن حتى استطار الشر واشتعلت الفتنة وثار فرج ابن فرج من نسل بني سراج بجماعة من ذوي الحمية من غرناطة قاصداً الجبال قبل أن تمكنت الحامية من تعقبهم ونودي بهرناندو دو فلور من نسل خلفاء قرطبة ملكا على الاندلس تحت اسم محمد بن أمية وعمت الثورة في أسبوع واحد كل انحاء جبال البشرات ووقع ذلك سنة ١٥٦٨

ولما كانت هذه الجبال من أصعب تضاريس الارض مرتقى وأوعرها مسالكا، كان تدويخ سكانها من أصعب الامور منالا، والفتنة فيها بعيدة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المرمى، فاستمرت هذه المرة حولين كاملين حافلا تاريخها بحوادث لا تحصى من القتل والغدر والتعذيب والاستباحة والاحتيال من الجانبين، لكنه ايضاً حافل بوقائع يندر في تاريخ الفروسية وكتب الحماسة الظفر بامثالها وتبقى على صفحات السير فخراً للقرون والامم وكان المغاربة هناك في موطنهم الاخير والموقف الذي يحاولون فيه ادراك الثأر على نحو ستة سنة قضوها في البلاء العظيم، والهوان الذي ليس له نظير، فهبوا جميعا منادين باخذ الثار واقتضاء الاوتار قرية بعد قرية، وهدموا الكنائس وأهانوا مافيها وفتكوا بالقسيسين وعذبوا النصارى الذين وقعوا في أيديهم، واعتصم الذين نجوا بالمعاقل والابراج ودافعوا دفاعا شديداً. وكان مركيز موتيجاوة قائداً في غرناطة فعمد الى المسالمة وأخذ بالملاينة وكادت الوقدة تنطفئ لولا ماأعاد الشرر من ذبح مائة وعشرة سجناء في حبس البيازين من المغاربة قيل إن ذبحهم وقع بغير علم المركيز، لكن الموريسك لم يقبلوا العذر ونشروا لواء الثورة، وصار ابن امية اميراً بالفعل على جميع جهات البشرات، الا أنه لم يكن ممن يحسن السياسة فقام بعض اعوانه وقتلوه وبويع لرجل آخر موصوف بالنجدة والحماسة اسمه عبدالله بن ابوه

فارسلت دولة اسبانية لتدويخ الثوار الدون جون الاوسترى اخا الملك وهو شاب في الثانية والعشرين من العمر فباشر القتال في شتاء سنة ١٥٦٩ الى ١٥٧٠ واتى من الفظائع مايخجل بانداده كتب الوقائع، فذبح النساء والاطفال أمام عينيه، وأحرق المساكن ودمر البلاد، وكانت علامته « لاهوادة » وانتهى الامر باذعان الموريسك لكنه لم يطل واستأنف مولاي عبدالله بن ابوه الكرة، فاحتال الاسبانيول حتى قتلوه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

غيلة، وبقي رأسه منصوبا فوق احد ابواب غرناطة ثلاثين سنة. وأفحش الاسبانيول في قمع الثورة بما اقدموا عليه من الذبح والحريق والخنق بالدخان حتى أهلكوا من بقية العرب هناك خلقاً كثيراً، وخير الذين نجوا من الموت لكنهم وقعوا في الرق وسيقوا مماليك وعبداناً ونفي جملة منهم، فاخذ عددهم يتناقص. ولما كان اليوم المشهود والمذكور في التواريخ وهو عيد جميع القديسين سنة ١٥٧٠ بلغ عدد من ذهب منهم عشرين الفا والذين أخذوا منهم في معمعة الفتنة صاروا إلى الاستعباد، والبافون أخرجوا من البلاد مخفورين، فمات كثير منهم على الطرق تعباً فمنهم من أجاز إلى بر العدوة وطافوا هناك سائلين لاجل قوتهم الضروري ومنهم من لجأ الى بلاد فرنسا حيث استقبلوهم براً وترحيباً واحتاج اليهم هنري الرابع لاجل دسائسه في مملكة اسبانية ولم ينته اخراجهم تماما إلى سنة ١٦١٠ إذ وقع الجلاء الاخير ولم يبق في تلك البلاد مسلم بعد أن وليها الاسلام ثمانية قرون. ويقال ان عدد من خرج منهم منذ اليوم الذي سقطت فيه مملكة غرناطة الى السنة العاشرة بعد الالف والستمائة يبلغ ثلاثة ملايين وأن الذين خرجوا الآخر مرة نحو نصف مليون.

وأما الاسبانيول المساكين فلم يعرفوا ماذا يصنعون ولا أنهم يخربون بيوتهم بايديهم، بل كانوا فرحين مسرورين بطرد المغاربة مع أن اسبانية كانت مركز المدينة ومبعث أشعة العلم قرونا، وقلما استفادت بقعة أوروبية من حضارة الاسلام بمقدار ما استفادته هذه البلاد فلما، غادرها الاسلام انكسفت شمسها، وتسلط نحسها، وإن فضل مسلمي الاندلس ليظهر في همجية هؤلاء القوم وتأخرهم في الحضارة وسقوط هذه الامة في سلم الاجتماع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بعد أن خلت ديارها من الاسلام انتهى كلامه ملخصا

واستشهد في حاشية هذه الجملة بنقل يمثل لك درجة هذه الحقيقة وهو أن الملك حول مدينة غرناطة ضياعا واسعة ومزارع التزموا بيعها سنة ١٥٩١ بسبب كونهم يخسرون عليها أكثر من غلتها، مع أن هذه البقاع كانت لعهد العرب حدائق غناء، وغياضا ذات افياء، وموارد ثروة ورخاء

وقال واشنطون ارفن في تاريخه لفتح غرناطة ما معناه ملخصا : انه بعد دخول هذه البلدة في حوزة الاسبانيول بقيت الحال غير مستتبة تماما مدة سنوات إلى أن وقع من اجتهاد رؤساء مذهب الكاثوليك في حمل المسلمين هناك على النصرانية ما ايأس مغاربة الجبال المتشددين في دينهم فثاروا برؤساء الدين وقبضوا على اثنين من هؤلاء الدعاة في مدينة دارين وعرضوا عليهما الاسلام فامتنعا فقتلوهما. وقيل ان النساء والاولاد قتلوهما قصصا بالعصي وشدخا بالحجارة ولهم أحرقوا جثتيهما فانتقم النصارى من هذه الفعلة بان اجتمع منهم نحو ثمانمائة فارس وساروا الى قرى المغاربة يخربون ويعيثون ، فاعتصم المغاربة بالجبال وانتشرت الفتنة في الجبال كلها لكن وسطها كان في جبل برميجه المصاقب للبحر ، فلما اتصل الخبر بالملك فرديناند أصدر أوامره بنقل المغاربة الساكنين في جهات الثورة الى قشتالة وأعطى الامر سرا بان من يدخل منهم في النصرانية يبقى في وطنه ثم رمى تلك الامة بالقائد المشهور الونزو دواغيلار ومعه جيش وهو الذي قضى معظم شبابه في قتال المغاربة فما اقترب من بلادهم حتى هرع جملة وافرة منهم الى رندة للدخول في النصرانية وجمر الباقون منهم تحت قيادة فارس اسمه الفهري سائقين نساءهم وأطفالهم الى حيث يتعذر السلوك من تلك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاوعار ، رابطين شعاب الجبال دون مرور عساكر الاسبانيول فالتقى الجمعان أمام بلدة موناردد وانتشب القتال فيقال ان الدون الونزو مع ابنه الدون بطرو وثلاثمائة من شجعانه صدقوا الحملة على المغاربة فازاحوهم وتلاحقوا في الهزيمة فتبعهم الجند يغنمون وينهبون ولما امتلأت أيديهم بالغنائم كر عليهم الفهري بجماعة من أبطاله وعلت الصرخة فارتجت لها جوانب الاودية وذعر الاسبانيول فتداعوا للفرار وثبت الونزو في مكانه يحرضهم ويفهم من شتيت شملهم فصبر معه جماعة وولى الاكثرون ودخل الظلام وخيم الغسق واشتد الخناق بالاسبانيول وجرح بطرو ابن الونزو فامره أبوه بالرجوع فاصر على البقاء بجانب أبيه فأمر اتباعه بحمله إلى معسكر كونت أورينه فاحتملوه مثخنا جراحا ولبث الدون بمائتين من رجاله يناضلون حتى فنوا عن آخرهم

وتحصن الدون بين صخرتين يتقي بهما فبصر به الفهري فقصده واستحر الصراع وألح الفهري وطمع في قرنه وكانا متماثلين في ثبات الجنان مع قوة الاضلاع وتوثق الخلق فصاح الونزو بخصمه «لا تحسبن نفسك وقعت على صيد هين فأنا الدون الونزو دأغيلار» فاجابه المغربي «ان كنت انت الدون الونزو فاعلم انني أنا الفهري» ثم كوره صريعا ومات بموته مثال الفراسة الاسبانيولية ونموذج الفشمشمية في الاندلس

واندفع المغاربة ذلك الليل بطوله يطاردون الاسبانيول ولم ينكفئوا حتى لاح الصباح فاجلى المعترك عن قتل الدون فرنسيسكو دورامبز المدريدي الذي كان قائد المدفعية الاكبر وكانت له المواقف المشكورة في حصار غرناطة لكن مصرع الدون الونزو دواغيلار الذي الاحزاز جميعها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعند وصول خبر هذه الفاجعة الى الملك زحف بالجيش الى جبال رندة فسكنت بحضوره الثائرة واشترى بعض المغاربة أرواحهم فجازوا الى افريقية، واحتمى آخرون بالنصرانية، وأما أهل البلد الذى قتل فيه الدعاة فسلكوا في سلسلة العبودية وبحث الملك عن جثة الدون فوجدوها بين مائتى جثة من الاسبانيول فيها أجساد عدد من الامراء والكبراء فحملوها الى قرطبة فى مشهد حافل، بين مدامع كالسحب الهواطل، ودفن فى كنيسة مار هيبوليتو، وندبه الاسبانيول دهراً طويلا » انتهى كلامه مجملا

* * *

وذكر المؤرخ الفرنسي الشهير فيكتور دروى فى تاريخه مايأتي ملخصا « ان اسبانية تخلصت من العرب لكنها بقيت حافظة عليهم احنة شديدة ربتها فى قلوبهم ثمانية قرون قضتها معهم فى الحرب وكان لذلك العهد سكان الجزيرة اخلاطا من مسلمين ونصارى ويهود فعول فرديناند على توحيد الهيئة بوحدة الاعتقاد تعزيزاً للدولة فانشأ ديوانا جديداً للتفتيش وكان الملك هو الذي يعين الرئيس والمفتش الكبير ويضع يده على أملاك المحكوم عليهم وكان هؤلاء في البداية من النصارى المتهودين والمسلمين المتنصرين ظاهراً الباقين في الباطن أعداء لمحمد (صلى الله عليه وسلم) ثم شملت أحكام الديوان أهل البدع السياسية كالبدع الدينية ايضا

وسنة ١٤٩٢ قرر ديوان التفتيش المذكور طرد اليهود من اسبانية بعد ان سلبوهم أموالهم وقد قدر بعض المؤرخين المعاصرين لتلك الحادثة عدد من خرج منهم ٨٠٠ الف (قلت منهم جماعة وافرة بأزمير وأقوام بالاستانة هاجروا اليها في تلك الكائنة ومنذ خمس سنين احتفلوا بعيد مضي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاربعمائة سنة على دخولهم بلاد الدولة العلية أكثروا فيه من الدعاء لسلطنة آل عثمان التي هي كهف المطرودين) والقسم الاكبر منهم هلكوا وعذبوا بما لم يعذب به أحد من العالمين، وسنة ١٤٩٩ صدر أمر بسلب المغاربة حريتهم الدينية التي تقررت لهم بموجب عهد غرناطة فخلا منهم جم غفير ولم يتم خروجهم جميعاً حتى القرن التالي في سنة ١٦٠٩ وهكذا فازت اسبانية بوحدتها الدينية لكنها خسرت صناعتها وتجارتها اللتين كان العرب واليهود أهم عمالها

وذكر مرة عند كلامه على شرلكان انه أكمل مقصد فرديناند فأكره مغاربه بلمنسية على التنصر وأهل غرناطة على ترك زيهم والتكلم بغير لغتهم وقال بمناسبة فيليب الثاني انه اضطهد المغاربة وضيق عليهم حتى التزموا الثورة سنة ١٥٦٨ وأوقدوا نيرانهم على تلك الجبال ايذانا بالخروج وكان يمكنهم بما أمسكوه من مخانق جبالهم الثبات طويلا لو امتدت اليهم يد معونة من اخوانهم أهل افريقية ففرق فيليب شملهم وبددهم في مقاطعته ولم تمض سنون عشر حتى صاروا كلهم أرقاء

ثم لنذكر بحسب عادتنا في المقابلة كلام المقري في هذه الوقائع الاخيرة وهو ببعض تصرف «ثم ان النصارى نكثوا العهود ونقضوا الشروط عروة عروة إلى ان آل الحال لحملهم المسلمين على التنصر سنة أربع وتسعمائة بعد أمور وأسباب أعظمها وأقواها عليهم انهم قالوا ان القسيسين كتبوا على جميع من كان أسلم من النصارى ان يرجعوا قهراً للنصرانية ففعلوا ذلك وتكلم الناس ولا قوة لهم ثم تعدوا إلى أمر آخر وهو ان يقولوا للمسلم ان جدك كان نصرانيا فأسلم فلترجع نصرانيا ولما فحش هذا لامر قام أهل البيازين على الحكام وقتلوهم وهذا كان السبب للتنصر قالوا ان الحكم خرج من السلطان ان من قام على الحاكم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فليس إلا الموت إلا ان يتنصروا بالجملة فانهم تنصروا عن آخرهم بادية وحاضرة وامتنع قوم من التنصر واعتزلوا النصارى فلم ينفعهم ذلك وامتنعت قرى وأماكن كذلك منها بلفيق واندرش وغيرهما فجمع لهم العدو والجموع واستأصلهم عن آخرهم قتلا وسبيا ، الا ماكان من جبل بلنقة فان الله تعالى أعانهم على عدوهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة مات فيها صاحب قرطبة: هو الونزو دوا غيلاد وأخرجوا على الامان إلى فاس بعيالهم وماخف من أموالهم دون الذخائر

ثم بعد هذا كله كان من أظهر التنصر من المسلمين يعبد الله في خفية ويصلي فشدد عليهم النصارى في البحث حتى انهم أحرقوا منهم كثيراً بسبب ذلك ومنعوهم من حمل السكين الصغيرة فضلا عن غيرها من الحديد وقاموا في بعض الجبال على النصارى مراراً ولم يقيض الله تعالى لها ناصراً إلى ان كان إخراج النصارى اياهم بهذا العصر القريب أعوام(١) سبعة عشر والف فخرجت ألوف بفاس وألوف أخر بتلمسان من وهران وجهورهم خرج بتونس فتسلط عليهم الاعراب ومن لا يخشى الله تعالى في الطرقات ونهبوا أموالهم وهذا بلاد تلمسان وفاس ونجا القليل من هذه المضرة

وأما الذين خرجوا بنواحي تونس فسلم أكثرهم وهم لهذا العهد عمروا قراها الخالية وبلادها وكذلك بتطاون وسلا وفيجة الجزائر ولما استخدم سلطان المغرب الاقصى منهم عسكراً جراراً وسكنوا سلا كان منهم من الجهاد في البحر ماهو مشهور الآن وحصنوا قلعة سلا وبنوا بها القصور والحمامات وهم الآن بهذا الحال ووصل منهم جماعة الى القسطنطينية العظمى والى مصر والشام وغيرها من بلاد الاسلام وهم لهذا العهد على ما وصف ، والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين » انتهى

(١) « لعل اصله : أي عام

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بطل العرب والإسلام واندلسها الجديدة

الامير محمد عبد الكريم

وقول كاتب أسباني فيه

ركدت عاصفة المعارك بين الدولة الاسبانية والامير محمد عبد الكريم وخمد لهيبها فبقي جل جمرها تحت الرماد من حيث اشتعلت نارها بينه و بين الدولة الفرنسية في منطقة حكومة المخزن المغربية الواقعة تحت حمايتها . وكان الكثيرون من الناس يظنون أن تقحم هذا البطل يصلي هذه النار الحامية سيحرق شهرته و يقضي على آماله لما لفرنسة من الشهرة الطائرة في فنون الحرب علما وعملا، ولكن فوزه في حرب الفرنسيس لم يكن دون فوزه في حرب الاسبانيول ، بل كان فوزا قامت له أعرق أمم أوربة في الحرب وقعدت ، فأسقط قيمة نقدها الى أسفل دركة كانت أنفقته فيها الحرب العظمى ، واضطرها الى متابعة سوق الجيوش من الوطن أرسالا، واستنفارهم خفافا وثقالا ، وطفقت صحف العالم تتحدث بدنو الخطر من فاس وتوقع امتداده الى الجزائر ، هذا على كون أخبار الوقائع لا مصدر له دونها ، ويعلم جميع الناس سنة الدول كلها في إفراغ هذه الاخبار في القوالب السياسية الموافقة لمصلحتها من كتمان بعض وتمويه بعض ، والمنار لا يعنى بنشر الوقائع الحربية ووصف ميادين القتال وانما يدخل في موضوعه ماله شأن في الانقلابات والتطور الاجتماعي وأسبابه من حوادث التاريخ

وقد قرأنا في جريدة البيان العربية التي تصدر عن (نيويورك) مقالة لكاتب أسباني اسمه (نربك دي مناس) نشرها في جريدة (هرالد تريبون) النيوركية وصف بها ماعرف وما اعتقد من حرب الامير محمد عبد الكريم وشؤونه ومقاصده بعد اختباره الشخصي اذ كان من الذين شهدوا بعض معارك القتال بينه وبين قومه ـ فرأينا أن ننقل جل هذا المقالة عن عدد البيان الذي صدر في ٢٢ شوال الماضي الموافق ١٦ مايو (ايار)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بدأ الكاتب كلامه بمقدمة ذكر فيها أن أخبار القتال في الريف لا يصدر شيء منها عن معسكر عبد الكريم بل كلها تصدر عن طريق خصوم العرب فلا يوثق بشيء منها ولا سبيل الى معرفة الحقيقة منها الا لمن يستنبطها من فحوى الكلام ويستشفها من لحن القول دون صريحه (وعبر عن ذلك بقراءة ما بين السطور وهي كناية عصرية غربية صارت مشهورة) وضرب لذلك المثل ببعض الاخبار الفرنسية المختلفة التي لا تعقل بحسب الفن العسكري من خسائر العرب وخسائر الفرنسيس ولا ينسين القارىء أنه أسباني عدو لهم وناصح لفرنسة ـ ثم قال :

وقد قدر لي أن حاربت عبد الكريم بنفسي من عهد غير بعيد فانا لذلك اعرف بعض الشيء عن نشاط الريفيين وشدة مراسهم واشهد علنا بالقلم واللسان ببطولتهم . رأيت بعيني أولئك العرب الشجعان يواجهون المدافع الرشاشة ويهاجمون رجالها غير مبالين بنيرانها الآكلة حتى كأنها ليست موجودة أو انها عديمة الاذى ومن أجل هذا اقول ان دعوى الفرنساويين بان مثل هؤلاء الابطال يتراجعون الى الوراء بسبب خمسين رجلا من الاقوال المضحكة

فالمصيبة في هذا هي أن الاميركان وغيرهم من أهل الغرب الموالين لفرنسة والمريدين لها الفوز يقبلون على هذه الانباء كأنها آيات منزلة ويصدقونها فلا يجهدون العقول ولو قليلا للتمييز بين غثها وسمينها او صدقها وكذبها وهذا هو الباعث على خفاء حقيقة الخطر الكبير الذي يهدد كل أوروبة من جانب المشكل المراكشي (١) ولهذا عقدت العزيمة على كتابة هذا المقال لكي أوضح فيه نيات الريفيين وما يرمون اليه في ثورتهم هذه من الوجهتين السياسية والدينية

فالحركة التي يقوم بها عبد الكريم الآن متأتية في أصلها عن البواعث التالية: لقد كانت فرنسا تسعى من زمن غير يسير الى موالاة القبائل المراكشية المختلفة والاتفاق معها على ترويج المتاجر الفرنساوية هناك وذلك بواسطة الشريف حرقاوي وهو زعيم كبير من قبيلة بني مولود . وقد حصرت أكثر قواها في ترويج هذه السياسة في قبيلة بني زروال المجاورة لقبيلة بني مولود، ثم إن القسم الاكبر من قبيلة بني

(١) المنار : يريد بهذا الكلام تحريض اوربة كلها على الريفيين كعادتهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

زروال تحت زعامة ابن مناله وهو زعيم كثير الطموح صمم العزيمة عند ماوجد نفسه في مركز منيع يخطب وده فيه الفرنساويون من جهة وعبد الكريم من جهة أخرى على سياسة مزدوجه

وكان في هذا الوقت أحد مناصري عبدالكريم وهو الفقيه الزهاري قد ناجز الشريف حرقاوي في وقعات عديدة لم يكن فيها نصر فاصل لاحدهما . فابن مناله حافظ على خطة الحياد وهو لكي يقي رجاله من أن يستميلهم الفرنساويون أو العرب اليهم ويحفظ ماله من السيطرة عليهم مال الى استعمال القسوة فيهم فادى ذلك الى تذمر شديد بينهم . فعلم عبد الكريم بذلك لانه كان يرقبهم بعين ساهرة وسعى الى اغتيال ابن مناله بوسائل مختلفة أهمها الرشوة والوعود التي بذلها لمحبي الزعامة فيهم

كان ذلك في شهر مارس (اذار) من هذا العام . فلما تخلص عبدالكريم من ابن مناله وتمكن بدهائه من ازالة ما للحرقاوي من النفوذ أدرك انه قد اصبح في مركز منيع يساعده على مهاجمة فرنسة فحشد جموعه على ماعلمنا قريبا من تازه على مسافة ثلاثين ميلا من فاس شمالا بشرق وأرسل كتائب من أنصاره لتعيث فسادا في منطقة متالزا الفرنساوية على التخوم التي تفصل بين مراكش الاسبانية ومراكش الفرنساوية. وكان الفرنساويون قد أنشأوا على مقربة من تازه عدة مراكز عسكرية وعمل فرنسة في انشاء تلك المراكز خطأ فاضح من الوجهة الحربية

ذلك أن مثل هذه المواقع العسكرية التي عرفت أسبانية بعد فوات الوقت أنها علة شقائها والتي أمر المسيطر الاسباني دي ريفيرا بتخليتها في الحال يمكن قطعها عن مجموع الجيش بسهولة ومحاصرتها ومنع النجدات عنها . ولما كان عبدالكريم قد عرف باختباراته الماضية ملاءمة هذه المواقع العسكرية لحركاته لم يضيع دقيقة من الوقت في التردد في مهاجمتها لعلمه بأن ذلك هو الشيء الوحيد الذي يكسبه التفوق (أولا) لانها قريبة (وثانيا) لان فصلها عن بقية الجيش سهل للغاية (وثالثا) لان أول انتصار يحرزه مهما يكن قليل الشأن ينشط اتباعه ويثير في صدورهم روح الشجاعة ويحملهم على المخاطرة والاقدام

وانا اعتقد ان المواقع العسكرية الفرنساوية المحصورة المسلحة بمدافع رشاشة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وغيرها عديدة ستتمكن من المقاومة وقتا طويلا ، ولكن الصعوبة هي في طريقة تمكن فرنسة من إمدادها بالمؤن والذخائر . فاذا لم يحصل المحصورون على أقوات جديدة ومياه صالحة للشرب تصير مقاومتهم عديمة الجدوى . وبما أن الريفيين يدركون هذه الامور فهم قد زادوا عدد المراقبين للطرق المؤدية الى تلك المعاقل لكي يحولوا — مهما كلفهم ذلك — دون وصول أقوات الى الرجال الذين فيها والذين يعدهم الريفيون الآن من اسراهم .

وطريقة العرب في الحرب هي أن لا يوجدوا مقاومة رسمية منظمة إلا ماكان منها في الاقاليم الجبلية أو في الاماكن الملائمة لهم بنوع خاص . فأساليبهم الحربية منحصرة في الدفاع عن موقف معلوم وقتا معلوما عند مايهاجمهم العدو ومن ثم ينهزمون منه اختيارا يوهمون مهاجميهم امكان الظفر بهم بسهولة ولكنهم يعودون ذات ليلة أو في نفس تلك الليلة كأنما قد خرجوا من جوف الارض ويقومون بمهاجمة عنيفة . فهذه الطريقة قد مكنتهم من أعدائهم وسهلت لهم الحصول على الغنائم والاسلاب وتبديد شمل العدو

فالجيش الفرنساوي المؤلف من ١٢٠٠٠ رجل تحت قيادة الجنرال لبوتي في الوقت الحاضر لايكفي لسوى حماية مدينة فاس وارباضها على انه لايقوى على الحراك أو على مناهضة عبد الكريم إلا بعد أن تصله النجدات المنتظرة من الجزائر وهي فيما يقال ستكون متراوحة في العدد بين ١٥٠٠٠ و ٢٠٠٠٠ جندي وعندها يزحف الى انقاذ المعاقل العسكرية المحصورة على أن تلك النجدات سوف تلاقي صعوبات جمة في الوصول اليه لانها مضطرة الى عبور نهر اورغا وهو في هذه الايام بحالة فيضان يتعذر معها عبوره

وفي رأيي أن فرنسة لاتقوى على مواجهة عبد الكريم بما يصون ماء وجهها في العراك بأقل من اربعين الى خمسين الف جندي . ومن المعلوم أن عجز فرنسة عن مناهضة عبد الكريم وصد هجماته قد أوجدت تأثيراً سيئا في نفوس القبائل التي لاتزال موالية لها والتي قد تنقلب الى اعدائه في أقل من ارتداد الطرف كما قد وقع لاسبانية . فاذا جرى هذا يصبح موقف فرنسة في تلك الارجاء حرجا كبير الخطر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأنا اعتقد أن فرنسة قد ارتكبت خطأ فظيعا في غض نظرها عن النكبات التي لحقت باسبانية في مراكشها مدة خمس عشرة سنة فهي مما أظن قد اعتقدت أن عبد الكريم بالرغم مما احرزه من الانتصارات على اسبانية لا تحدثه نفسه بمهاجمة فرنسة . ففي هذا لم تكن ذات نظر بعيد ، وقد كان من حقها أن تدرك أن سكرة النصر التي قد تملك عبد الكريم تحمله يوما من الايام على التمادي في ابعاد كل الاجانب عن بلاده — وهكذا يهاجم فرنسة — تلك امور قد ادركها كثيرون من زمن طويل وأما فرنسة فقد عجزت عن ادراكها

وانني على مايدعيه بعض الفرنساويين من أن العرب يكرهون الاسبانيين أقول عن اختبار انهم يكرهون الفرنساويين اضعاف ذلك . نعم انهم كانوا يبدون احتراما اكثر لفرنسة ولكن ذلك الاحترام ناتج عن خوف لا عن حب . فالعرب كما لا يخفى لا يحترمون سوى القوة ، وبما انهم كانوا الى اليوم يعتقدون أن فرنسة في مراكش أقوى منهم بالشيء الكثير لم يفكروا في مهاجمتها . وعلى هذا أقول ان الفتنة الحالية منظورا اليها من كل الجهات هي من الحركات العظيمة الاهمية وقد تكون أهميتها في هذا الحين غير بادية للعيان إلا أن المستقبل مخيف

ويمكنني أن أدعي بعض العلم بالخطط التي رسمها عبد الكريم لنفسه استقيت ذلك من صديق لي اسمه خوزي دياز وهو من الناس القلائل الذين زاروا عبد الكريم في منزله باكسدير علمت من هذا الصديق وغيره أن عبد الكريم يفاوض على الدوام زعماء العالم الاسلامي في كل مكان من العالم وغرضه من ذلك ايجاد حركة عدائية ضد كل الدول المسيحية التي تحتل بلدانا اسلامية وعبد الكريم يعتمد في خلق مايلزمه من القوة على تعصب العرب الديني وهو يؤجج نيرانه ليبلغ من ذلك مناه في طرد اسبانية وفرنسة من مراكش (١) ودعاية عبد الكريم مبثوثة بين جميع القبائل تدعوهم الى مناصرته للبطش بالطامعين بأراضي الاسلام وتؤكد لهم انه سيقذف بهم جميعا الى البحر .

---

(١) « البيان » عادوا بنا الى ذكر التعصب الذي يرمي به العرب الشرق كلما شكا من ظلم الاستعماريين أوهب للتخلص من تعصبهم وجشعهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومما هو جدير بالذكر أن عبد الكريم ليس بطلا مجربا فقط فقد حدثته في مواضع كثيرة وحدثه غيري كثيرون ، فهو رجل واسع الاطلاع وفيه ذكاء ودهاء وتعقل بمقدار يندر وجود مثله في رجل واحد . والرجل يعتقد أن عليه واجبا وطنيا ، وهو يعرف كل الحوادث المتعلقة بمدة السبعمائة سنة التي سيطر فيها العرب على أسبانية ، وهو وأخوه الذي تلقى فن الهندسة في مدريد قد جالا في كثير من البلدان المتمدنة وسكنا زمنا طويلا في جنوبي أسبانية

وفي مدة إقامة عبد الكريم في ذلك الجانب من أسبانية شاهد آثار أمجاد العرب الباقية في كل مكان من تلك البلاد ولا سيما في غرناطة فأثر ذلك فيه أيما تأثير وولد فيه نزوعا الى محاولة استعادة أمجاد الاجداد ، وهو أمر نبيل يشكر عليه الرجل مهما قيل عن مساوئه واخطاره. وقد بث هذه الدعوة العربية في كل مكان بواسطة المشايخ والائمة الذين يتجولون من مكان الى آخر ولهم سلطة معروفة على العامة

وقد لقب عبد الكريم نفسه من زمن بعيد برئيس جمهورية الريف حتى انه الف وزارة وهو طامح الي توحيد كل القبائل والشعوب التي هي من جنسه تحت هيئة حكومة منظمة. ومعلوم أن فرنسة حسب الظاهر لاتحسب حسابا كبيرا لفتنة الريفيين ، ولعلها تصبر الى أن يهب كل سكان مراكش لمناهضتها قبل أن تدرك وتعترف بأن الحالة موجبة للخوف والاحتساب ، على ان المراكشيين فيما أعتقد لايخيبون آمالها من هذا القبيل ولكل شيء وقت . والتاريخ مملوء من هذه النظائر

ويذكر الذاكرون أن نابليون قد انكسر مرارا بجيشه المجرب في أسبانية حيث حاربه هنالك شراذم من الرجال عام ١٨٠٨ ، وكانوا يجرون في مكافحته على نفس الخطة التي يجري عليها الريفيون مع الفرنسويين اليوم . وثورة البورس على انكلترا هي مثال آخر من تلك الامثلة . ومثل هذا يقال عن الفتنة في بنجاب من بلاد الهند(١) ومن المعلوم أن تملك المستعمرات البعيدة الشقة هو الآن من

«١» المنار : اي التي كان سببها اطلاق الانكليز العادلين الرحماء مدافعهم على الاهالي العزل من رجال ونساء واطفال بلا ذنب الا ان يكون التعصب الذي معناه التألم من ظلم الاجنبي المستعبد لهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الكماليات الموجبة لباهظ النفقات التي تستكبرها أغنى الدول وأقواها

وقد أصبح الناس في تلك المستعمرات غيرهم بالامس فهم يعرفون تاريخ بلادهم وتاريخ الدولة التي تسيطر عليهم ويدركون حقوقهم وواجباتهم، خذ مثالا لذلك عبد الكريم الذي تلقى العلوم في اسبانية وغيرها وعاد الى بلاده ينشر ماستنتجه من ذلك بين أبناء قومه . فالعلوم التي تلقنها كانت بمثابة سلاح قاطع في أيدي التلاميذ ضد معلميهم . وعبثا تحاول فرنسة قمع العصيان واطفاء نائرة الفتنة فهي وان استطاعت ذلك (وهو فيما نرى بعيد) فانها لم تستأصل اسباب الخروج وبواعث النواة التي بثها عبد الكريم بين مواطنيه .

وانقلاب العرب في الكفاح ليس من الامور التي يعبأون بها فهم ان انهزموا اليوم يعودون في الغد الى المناجزة أوفر نشاطا وأكثر إقداما . وما يشيعه ذوو الاغراض من ان عبد الكريم يقصد بتوجيه حملاته على المنطقة الفرنساوية خدع الاسبانيول الذين يطمع في اخراجهم من البلاد هو من الاقوال العارية عن الصحة لان عبد الكريم غير مبال الآن بالمنطقة الاسبانية لانه يدرك قوة تحصين الاسبان بعد تراجعهم الى الوراء وهو أعقل من أن يهاجمهم في هذا الحين

فغرض عبد الكريم الحقيقي هو توجيه ضربة شديدة الى فرنسة حتى اذا بطش بجيشها يثير عواطف الشعوب والقبائل المراكشية ويحملها بفوزه على مناصرته وحينئذ يحشد من الجيوش مايمكنه من توجيه الضربات الشديدة الى فرنسة واسبانية معا . ومن أجل هذا أقول انه مالم تقو فرنسة على انزال أشد العقاب بعبد الكريم بالاسرع الممكن تكون خسارة فرنسة في مراكش عظيمة وسقوط مهابتها في عيون أهل البلاد مريع للغاية . لان عبد الكريم يذيع أنباء انتصاراته في طول البلاد وعرضها لكي يحمل أهل البلاد على اعتقاد أن سحق فرنسة واسبانية في مراكش ليس من الامور المحتملة فقط بل من الامور المقررة

ويجب أن لا ننسى أن المراكشيين اذا حاربوا بعدد قليل من الرجال لا يكون ذلك ناتجا عن عدم وجود الرجال عندهم بل عن عدم وجود الاسلحة . على أن كماحهم بالقليل من الرجال يزيل سوء نتائج هذه الحاجة فان المراكشي اذا حارب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بتدفع شجاعة او بالحري يتنامي الخوف . والمراكشي الذي يرى رفيقه مجندلا في ساحة القتال لا يرتاع ولا يلوي الى الفرار بل يأخذ مكانه

والاسلوب الحربي الذي يتمشى عليه عبد الكريم هو أن يتراجع بينما يكون العدو متقدما حتى اذا وقف العدو عن التقدم يشرع هو ورجاله في اصطياد رجال العدو واحدا بعد آخر ، وهو فن يحسنه العرب اكثر من كل شعب آخر ، ومن الصعب جدا اطلاق الرصاص على المراكشيين لانهم لا يحاربون مجتمعين بل افرادا أو أزواجا يتحركون على الدوام بينما الفرنساويون أو الاسبانيون يزحفون جماعات تكون أفضل هدف لرصاص عدوهم .

ان المقاتل العربي الفارس لا يشق له غبار ولا يعطى له بنار فهو يهجم كالمارد على صفوف الاعداء الى ن يصير على مسافة ١٥٠٠ الى ٢٠٠٠ متر ويطلق نيرانه وهو مثابر على الجولان وهو على القالب لا يخطيء المرمى حتى اذا قضى وطرا يكر راجعا ليعيد بندقيته من حيث تطيش طلقات الاعداء المصوبة عليه فلا تصل اليه . وغني عن البيان أن الطيارات والمدافع لا تنفع منها في هذه الولايات . ولا توجد هناك مدن أو حصون ليضربها العدو ويستولي عليها بل أبطال مجربون يصيبون ولا يصابون

هؤلاء العرب هم جنود مدربون من المهد وهم يفضلون اصطياد الناس على اصطياد الوحوش وغيرها . ومن الاقوال المأثورة عنهم أن أحب الاشياء الى العربي في الحياة بندقيته ثم جواده وأخيرا زوجته التي يعاملها على ما هو مشهور كما يعامل البهيمة . وهي قلما تترك البيت فاذا فعلت تخرج مبرقعة ولا يرى وجهها الا سيدها دون سواه (١)

والمحارب العربي يكفيه القليل من القوت كحفنة من التين أو التمر تقوته النهار بطوله ولا يعطش ويقوى على الركض مسافات طويلة ولا يتأثر من الحر واذا حارب العرب حربا دينية فلا يوجد في جيوش الارض من يضارعهم في ذلك

(١) المنار . انها على هذا افضل عند العرب من الزوجة الافرنجية التي يرى غير زوجها لا وجهها فقط بل سائر بدنها أيضا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لما في دينهم من الوعود بالجنة لمن حارب ضد المسيحيين (١) فهم ينالون مقابل هذا الجهاد مكانا جميلا في السماء ويحرزون الجياد المطهمة والسلاح الجميل والنساء الحسان . ومن أجل هذا فهم لا يخافون من الموت في ساحة القتال (٢)

وبعكس ذلك الجندي الفرنساوي او الاسباني الذي لا دين له على الغالب ولا هو يؤمن بثواب حتى ولا في هذا العالم ولا بعقاب في الآخرة ومن أجل هذا فهو لا يستميت في القتال ولا يتهالك كالعربي - ذلك ما اردت بيانه هنا ايضاحا للحالة الراهنة . وهناك أشياء كثيرة مهمة لا تسمح الفسحة بايرادها . على أن القراء يدركون من الذي تقدم بيانه راكنة الحركة التي يقوم بها عبد الكريم وانها تتطلب اهتماما خاصا ودراية وتدبيرا عظيمين لانقاء غوائلها

وجملة القول انه اذا كان عبد الكريم قد نجح في مساعيه بغرس الفضاء في اذهان مواطنيه للاوروبيين فليس في الدنيا ما يقوى على ازالتها ومهما أتي الفرنساويون من آيات القتال ومهما حردوا من الجيوش فانهم يعجزون عن استئصال هذه الفكرة القومية التي ستكلف فرنسة على تمادي الزمن انهارا من الدماء وانهارا من الذهب كما كلفت أسبانية

(المنار) انتهت المقالة وقد جاءتنا الانباء قبل طبع هذه الكراسة من المنار بأن محمد عبد الكريم يحارب الآن الدولتين معا وهو منتصر عليهما

---

(١) المنار : هذه التهمة اختلقها الصليبيون واستغلها الماديون والملحدون من سلائلهم والصواب ان القرآن نطق بأن النصارى اقرب الناس مودة للمسلمين ولكن الافرنج عادوا المسلمين وسلبوا ملكهم ثم كانوا منهم مضرب المثل « رمتني بدائها وانسلت » فهم يتهمونهم بذلك لتطييبهم نفوسهم بحرة وتوافقهم على استمرار استعبادهم واضطهادهم لهم

(٢) هذا اهم اسباب عناية الافرنج بافساد عقائد المسلمين وابطال ثقتهم بدينهم وقد كان تأثير مدارسهم ومدارسنا المقلدة لهم في تمكينهم من استعباد المسلمين وسلب ملكهم اعظم من تاثير اساطيلهم وجيوشهم ، وان ملاحدة المتفرنجين منا لشر منهم وأضر لعنة الله عليهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحج في هذا العام (١٣٤٣)

كان للدول المستعمرة المسيطرة على الشعوب الاسلامية غرض واحد من السعي لمنع الحج هو معروف لكل المسلمين بسياسة الاستعمار فصار لهم في هذا العام غرضان ثانيهما ان لا ترى شعوبهم ادارة اسلامية صالحة في حرم الله عز وجل كادارة السلطان عبد العزيز آل سعود فيحدث لهم أمل جديد في حكومة اسلامية عادلة مستمدة لان تكون دولة قوية تقدر أن تنقذ الحرمين الشريفين من وقوعهما تحت سيطرة الاستعمار الذي رضيه لهما الشريف حسين وأولاده على وعد الله وفيصل كارضوه للعراق وسورية وفلسطين على شرط أن يكونوا ملوكا وأمراء فيه تحت السيادة الانكليزية كما بيناه مرارا بالبراهين التي لم يقدر أن ينقضها أحد منهم ولا من اجرائهم

اذاع السلطان عبد العزيز منشوراً في الدعوة الى اداء فريضة الحج نشر في جريدة أم القرى المكية ووزعت منه نسخ مستقلة كثيرة في مشارق العالم الاسلامي ومغاربه ونشر في أشهر صحف مصر وسورية والهند وحاوه وغيرها من الاقطار ذكر فيه امن الطريق وفتح ثلاث من ثغور الحجاز لنزول الحجاج فيها . القنفذة والليث في جنوب جدة ورابغ في شمالها . فطفق الاجانب يدسون الدسائس ويثيرون الهواجس والوساوس لتخويف المسلمين من سبيل الحج ويدعون أن جيوش الشريف على المحصور في جدة وأساطيله واقفة للحجاج بالمرصاد فهم على خطر اينما توجهوا من بر وبحر ، وأن الحجاز ولا سيما مكة المكرمة في مجاعة فيخشى على من يجيئها من الحجاج أن يموتوا جوعا ان هم نجوا من جيوش الشريف على « ملك الحجاز » ؟ وتجاوبت بمثل هذا البرقيات الانكليزية من جدة ولندن والهند ولبعضها صفة رسمية بريطانية كزعم قنصل الانكليز في جدة عدم صلاحية الثغور المذكورة لنزول الحجاج وعدم وجود الاقوات وغيرها مما يحتاجون اليه فيها حتى نصحت الحكومة الهندية البريطانية مسلمي الهند بأن لا يحج أحد منهم في هذا العام فلم يقبلوا نصحها * وقد يستفيد الظنة المتنصح * وتابعتها حكومة مصر فنصحت للمصريين بمثل ذلك وزادت أن فرضت على من يريد الحج دفع تأمين لها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ضعف ما كانت تأخذه من كل حاج نائبة دلك على مثل هذه الاذاعات التي كانت تنشرها جريدة المقطم المنشأة لخدمة السياسة البريطانية والمنفردة بترويج الدعاية الحجازية حتى ان أحد محرريها قال لبعض الناس قبل نشر الحكومة لقرارها بايام : اننا قد نجحنا في منع الحج في هذا العام ، ولا غرو فنفوذ الانكليز بمصر في هذه الايام ، أقوى مما كان في كل زمان واننا كنا طبعنا نداء سلطان نجد عند وصوله ووزعنا منه نسخا كثيرة وهذا نصه:

(نداء عام الى جميع المسلمين في مشارق الارض ومغاربها)

مكة المكرمة ١ شعبان سنة ١٣٤٣ ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٥

من سلطان نجد عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود الى كافة اخواننا المسلمين في اقاصي الارض وأدانيها

نحمد اليكم الله الذي لا إله الا هو ونصلي ونسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . ونستفتح بالذى هو خير . وبعد فلقد منّ الله علينا وأمدنا بعنايته في دخول هذه البلاد المقدسة . وتفضل علينا ومكننا من طرد الحسين وأولاده الفئة الباغية من هذه الديار المطهرة . وبذلك زالت والحمد لله دولة الظلم والجبروت ، وحلت الشريعة السمحة محل الاغراض والاهواء ، وتوزع العدل بين الناس سواء في ذلك الصغير والكبير والشريف والوضيع ، فساد النظام في البلدة المطهرة وفي سائر أنحاء البلاد ، واستتب الامن ، عمت السكينة والطمأنينة سائر الارجاء بصورة لم تعهد من قبل ، (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) وهذا مصداق لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله » تبارك وتعالى

هذه هي الحقيقة الراهنة في البلاد ولكن الحسين وأولاده واشياعهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قعدوا في الخارج يختقون الاراجيف ويشيعون الاكاذيب عن الموقف الحربي في الحجاز وعما يمكن أن يؤول موسم الحج في هذا العام تضليلا للافكار وتشويها للحقائق

ولما كان من أجل مقاصدنا خدمة الاسلام والعالم الاسلامي وهو المبدأ الذي اتخذناه عند الشروع في هذه القضية العظيمة الشأن رأيت الواجب يدعوني لأبين للمسلمين عامة ما يأتي

(١) أن جندنا قد حصر عليا بن الحسين وجنده وقواه في بلدة جدة التي أحاطها بالاسلاك والحصون ،وضيق عليه تضييقاً عظيما وسيخرجه منها في وقت قريب ان شاء الله تعالى

(٢) اننا نرحب ونبتهج بقدوم وفود حجاج بيت الله الحرام من كافة المسلمين في موسم هذه السنة ونتكفل بحول الله بتأمين راحتهم والمحافظة على جميع حقوقهم وتسهيل أمر سفرهم الى مكة المكرمة من احدى الموانى التي ينزلون اليها وهي رابغ * أو الليث * أو القنفده * وقد احكم فيها النظام واستتب الامن استتبابا تاما منذ دخلتها جيوشنا وسنتخذ من التدابير في هذه المراكز جميع الوسائل التي تكفل تأمين راحة الحجاج ان شاء الله تعالى

(٣) أعلن لكافة اخواننا المسلمين أنه لم يبق أثر للمشاكل والعراقيل التي كان يضعها الحسين ضد المشاريع الخيرية والاقتصادية وأن أبواب الحجاز مفتوحة لجميع من يريد القيام باى عمل خيري أو اقتصادي، وأن الحكومة المحلية مستعدة للقيام بجميع التسهيلات الممكنة لتنشيط من يريد القيام بهذه المشاريع الخيرية والاقتصادية

هذا ما أردنا اعلانه للناس كافة ليحيط الجميع علما به سائلا الله تعالى

أن يوفقنا الى ما يحبه ويرضاه، ويهدينا وإياكم الى سبيل الرشاد، انه ولي التوفيق، نعم المولى ونعم النصير، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

سلطان نجد

عبد العزيز عبد الرحمن

الفيصل السعود

عاقبة الشريف حسين بن علي مع الانكليز

كتبت في الرحلة الحجازية فصلا في صفات هذا الرجل وشمائله، وكان ذلك قبل اليأس من كل خير يرجى منه لامته وملته، والجزم بأنه لا يتوقع منه الا الشر على أنني لم أكن حرا في التصريح برأيي كله فيه عند كتابته، ومع شدة احتراسي من التصريح بانتقاد ما يعتقد منه، لانني لم أكن أرى ذلك من المصلحة ولا من الذوق والادب، ولان ذلك كان في عهد المراقبة على الصحف ولا سيما المنار، وقد أمرت المراقبة الانكليزية بحذف بعض الجمل من ذلك الفصل لم تأمر بحذفه المراقبة المصرية قبلها . وكان ما يكتب في المنار من مسائل الحرب والبلاد العربية ونحوها يراقب مراقبة مزدوجة

وصفته في ذلك الفصل بشدة الاستبداد والعناد بسوء الظن وعدم الثقة بأحد، ولكن جعلت ذلك في معرض مظهره المدح ثم قلت: وقد وقفت منه على آراء سيكون لها أعظم شأن في سياسته (منها) يأسه من الدولة العثمانية . . (ومنها) «إن له ثقة بالدولة البريطانية وتقديرا لقوتها وعظمتها لا حد لها ولا سلطان لشيء عليها» وعنيت بهذا أنه لا يمكن تحويله عن شيء من ذلك ببرهان عقلي ولا سياسي ولا ديني ولا بمراعاة مصلحة قومية الخ

ثم كان من مصداق هذا القول فيه أنه رضي لنفسه أن يكون موظفا بريطانيا في الحجاز، فكان ذا استياء من شيء يطلب من الحكومة الانكليزية إقالته من ملك الحجاز وتعيين غيره في مكانه حتى أنه نشر خبر استقالته في جريدته (القبلة)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ونشر مرة صورة برقية أرسلها الي مدير جريدة التيمس يرجوه فيها بأن يقنع حكومته بقبول استقالته ونصح له غيرنا وكنا نصحنا له كغيرنا وأنى يقبل نصيحة أحد؟

فكان عاقبة جهله وغروره واستبداده برأيه ان خذله الانكليز في كل شيء بعد ان نالوا منه ومن اولاده ماثبت به لكل احد مطلع على أمرهم وامر العالم انهم خانوا امتهم ، ونبذوا دينهم وشرفهم وراء ظهورهم في خدمتهم تحددت احداث خذلانهم له هو وبقي مصرا على الاتكال عليهم والثقة بحسيائهم النجيبة . وقد طرده سلطان نجد من مكة فانهزم الى العقبة آخر ثغور الحجاز الشمالية، وكان الانكليز خدعوه بأن يضم منطقة العقبة ومعان الى امارة ولده عبد الله (شرقي الاردن) ففعل وهو يتخيل انها من مملكته العربية وانه هو الذي ولى نجله المحبوب عليها !!

ثم كان عاقبة هذه الجناية والخيانة أن امره الانكليز بالخروج من هذه المنطقة والسفر الى البصرة حيث اعد له نجله فيصل قصرا لائقا بمقامه فتمنع وقال انه لا يخرج من أرض الحجاز مختارا فسررنا بذلك وعزمت على كتابة مقالة في تأييده والدفاع عنه والاحتجاج على الانكليز، وكاشفت بعض اصدقائي بذلك ، ولكن لم نلبث ان نبئنا بأنه خضع وختم عملا برأي ولده عبد الله وابسل نفسه فأرسلوه الى جزيرة قبرص حيث اعدت له الحكومة الانكليزية دارا لائقة به ليقيم في ظل علمها الظليل كما اقترح عليها من قبل مرارا (فكان عاقبة الذين أساؤا السوءى) وانما العاقبة للمتقين . وسنعود الى تفصيل القول في هذه المسألة وبيان العبرة فيها

ونختم هذه الكلمة هنا بانذار الحكومة البريطانية ان لا تغتر بسوء حال المسلمين وتوا كلهم فتضم شيئا من أرض الحجاز الى ماتسميه منطقة لانتداب ، فقد اصبح جميع الناس يعرفون معنى هذا الانتداب ، وشروعها في الاستيلاء على الحجاز ، ان هي تجرأت عليه سيكون مبدأ زوال سلطانها من الشرق الاسلامي ان شاء الله تعالى

﴿ تاريخ المنار ﴾ جعل الجزء الماضي لآخر رمضان خطأ لان معظمه طبع في شوال ولذلك جعلنا هذا الجزء في القعدة لأنه طبع فيه